



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

البنية السردية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

عبد العزيز مصباحي

من اعداد الطالبات:

✓ عائشة رغبة

✓ عائشة عويمر

أعضاء لجنة المناقشة

المؤسسة الأصلية	الصفة	الرتبة	الاستاذ
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا	استاذ مساعد أ	فاطمة جابري
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا	استاذ مساعد أ	عبد العزيز مصباحي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	عضو مناقشا	استاذ محاضر ب	يسمينه عوادي

الموسم الجامعي: 1439/1440 هـ 2018/2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا

على إنجاز هذه المذكرة، إذ يطيب لنا في هذا المقام أن نتقدم بأسمى

عبارات الشكر والامتنان والعرفان إلى الأستاذ: "مصباحي عبد

العزیز"

فما كان لبحثنا أن يخرج إلى النور لولا التوجيه السديد والرعاية

الفائقة التي شملنا بها إذ كان لملاحظاته القيمة الأثر الكبير في إظهار

هذه المذكرة فشكرا لكرمه وجزاه الله خير جزاء

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث سواء

من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى من كافح من أجل إسعادي ونجاحي وسعى لإنارة حياتي بأشعة

الأمل وأكبر رمز للتضحية أطال الله في عمره.

-أبي الغالي-

إلى نبض فؤادي ونبض أفراحي، إلى أشعة الشمس التي أنارت دربي

أطال الله في عمرها.

-أمي الغالية-

إلى رفقاء دربي، وسندي في الحياة.

أخوتي وأخواتي.

وإلى كل من أتسع لهم قلبي ولم يذكرهم قلبي أهدي لكم جميعا هذا

العمل المتواضع

مقدمة

عرفت التجربة الروائية الجديدة تطوراً بارزاً في هيكلها ومضمونها، وعلى الرغم من كل العراقيل التي اعترضت بدايتها استطاعت في وقت وجيز، طبع بصمتها على أبواب الحداثة، وهذا راجع لاتصالها بالواقع المعيش، فهي بمثابة سجل ملأته شواغل المجتمع وتطلعاته، ومن ثم أصبحت مرآة تعكس هويته وانتماءاته حيث تطورت لتواكب الحياة المعاصرة، بشتى مجالاتها، فهذا النوع الأدبي يؤكد النزوع الفكري العام، وتأكيد معيار جديد لممارسة الأدبية. ولقد نجحت الرواية الجزائرية المعاصرة، في إحتلالها المقام الأول في المجال الأدبي، وأصبحت محل إهتمام الكثير من النقاد والدارسين.

ويعود سبب إختيارنا لهذا الموضوع إلى دراسة الجنس الروائي تحديداً إلى أهميته ولكونه يندرج ضمن الدراسات الحديثة المعاصرة، إذ تعتبر الرواية المعاصرة من أهم الإبداعات السردية، أما عن سبب إختيارنا لرواية "عز الدين جلاوي" كونه جزائري معاصر يقارب مضمون روايته الواقع المعيش وهذه الظاهرة في حد ذاتها كانت دافعاً محفزاً لإختيارنا لهذا الموضوع.

تكمن أهمية هذا الموضوع في الإحاطة بجميع جوانب البنية السردية وإظهار تجليات كل من (الزمن، الفضاء، الشخصية) في رواية "الرماد الذي غسل الماء" وإبراز التغيرات الحاصلة على مستوى النص السردى من مميزات وخصائص. كما يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية ، كتسليط الضوء على إحدى أبرز الإبداعات الجزائرية الحديثة وتحليل مكوناتها والتعرف على ما وراء سطورها من حقائق وجماليات فنية وأدبية وعلمية.

وقد جاء هذا البحث بناء على الإشكالية الرئيسية التالية: ما هي البنية السردية وكيف تجلت في رواية "الرماد الذي غسل الماء"؟

وتتدرج تحت هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات من بينها:

- كيف تجلت البنيات التي تشكلت منها الرواية؟
 - ماهي الأدوات التي استخدمها الكاتب في نسج روايته؟
 - وإلى أي مدى وفق الروائي في تقديم النص؟
- وللإجابة عن هذه التساؤلات بنينا بحثنا على مقدمة ومدخل وفصلين، كان المدخل بعنوان " نبذة عن حياة الروائي وملاح عن الرواية "، حيث اشتمل على التعريف بالروائي والرواية وملخصها.

وسطرنا الفصل الأول تحت عنوان البنية السردية (المفاهيم والإجراءات) تعرضنا فيه إلى مفهوم البنية (لغة واصطلاحاً- أنواعها)، ومفهوم السرد (لغة واصطلاحاً، أنماطه ووظائفه) ومفهوم الزمن (لغة واصطلاحاً، أنواعه- المفارقات الزمنية، تقنية زمن السرد، والأهمية) ومفهوم الفضاء (لغة واصطلاحاً، أنواعه، الفضاء وعلاقته بالمضمون الروائي، أهمية المكان كمكون للفضاء الروائي)، مفهوم الشخصية (لغة واصطلاحاً، أنواعها، تصنيفاتها، أهميتها).

أما الفصل الثاني فكان تطبيقياً بعنوان تجليات مكونات البنية السردية في رواية " الرماد الذي غسل الماء " تطرقنا فيه إلى دراسة كل من الزمن والفضاء والشخصية في الرواية، وفي الأخير ذيلنا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة النتائج التي توصلنا إليها.

اعتمدنا في معالجة موضوعنا على " المنهج الوصفي وإتباع أساليب التحليل"ذلك لأننا بصدد وصف للمكونات البنية السردية في الفصل النظري وتحليل نص الرواية في الفصل التطبيقي وهذا لا يعني عدم استفادتنا من بعض المناهج الأخرى عند الحاجة إلى ذلك.

ومن أهم المراجع التي إعتدنا هنا خلال إنجازنا هذا البحث المصدر الرئيسي والمكون لهذه الدراسة رواية " الرماد الذي غسل الماء " التي كانت عمود الدراسة التطبيقية بالإضافة إلى بعض المراجع أبرزها، حميد لحميداني، بنية النص السردية، وسيزا قاسم، بناء الرواية، وحسن بحراري بنية الشكل الروائي.

ومن بين الدراسات السابقة التي استعنا بها: البنية الزمكانية في " رواية الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي لقمرة عبد العالي، والبنية السردية في أعمال هاشم غريبة الروائية ، لمنال عواد. مفلح العرقان.

وكغيره من البحوث العلمية لا يخلو بحثنا من الصعوبات التي تتعرض طريق الباحث ومن بين الصعوبات التي واجهتنا كثرة المادة العلمية، وتعدد الترجمات، واختلاف طرائق التحليل.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل على توفيقه وامتنانه، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والإمتنان وأخلص العرفان للأستاذ المشرف: "عبد العزيز مصباحي " الذي كان نعم المرشد، وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إعداد هذا البحث.

يوم الأحد 30 جوان 2019 قمار

المدخل: نبذة عن حياة الروائي وملامح عن الرواية

أولاً: التعريف بالكاتب

ثانياً: التعريف بالرواية

ثالثاً: ملخص الرواية

باعتبار الرواية العربية الجزائرية من أبرز الدراسات الحديثة سنقف في هذا المدخل على حياة الروائي عز الدين جلاوي، وملاح إحدى إبداعاتها التي بعنوان "الرماد الذي غسل الماء".

أولاً: التعريف بالمؤلف (حياته وأهم أعماله):

أ-حياته:

يعدُّ عز الدين جلاوي أحد أهم الأصوات الأدبية في الجزائر، درس القانون والأدب وتخصص في دراسته العليا في المسرح الشعري المغاربي عمل أستاذ للأدب العربي، بدأ نشاطه الأدبي في سن مبكرة، ونشر أعماله الأولى في بداية الثمانينات عبر الصحف الوطنية، كما ساهم في الحركة الثقافية والإبداعية فهو عضو مؤسس لرابطة إبداع الثقافة الوطنية وعضو لمكتبها الوطني منذ 1990م، ثم عضو اتحاد الكتاب الجزائرية لسنة (2000م-2003م)، أسس وأشرف على عدد كبير من الملتقيات الثقافية والأدبية والتي من بينها ملتقى الشباب الأول والثاني (1996م-1997م)، وملتقى المرأة والإبداع في الجزائر لسنة 2000م، كذلك أشرف على الملتقى أدب الأطفال بالجزائر عام 2001م وغيره من الملتقيات، شارك في ندوة الأمانة العامة لاتحاد الأدباء العرب بتونس في جانفي 2003م ومؤتمر اتحاد الأدباء والكتاب العرب في ديسمبر 2003.

- قام بزيارة كل من الأردن وسوريا والمغرب وتونس وقام بنشاطات ثقافية في مراكز ثقافية مهمة كجامعة "فيلاد يلفيا" الأمريكية ورابطة أدباء الأردن واتحاد الكتاب العرب وجامعة "بتمسيك" دار البيضاء بالمغرب.

كما قدمت عن أعماله دراسات نقدية كثيرة نشرت عبر الجرائد والمجلات الوطنية والعربية منها: بيان الكتب الإماراتية، الفنيق الأردنية، الموقف الأدبي، السوري، الأسبوع الأدبي السوري، مجلة كلمات البحرينية . جريدة الأخبار البحرينية وغيرها¹.

¹ - الموقع الإلكتروني: 18:35. 26-03-2019 WW.diwwanalarab.com

كما قدمت عن كتابة الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف الجامعات وتناولته العديد من الكتب لمجموعة من الباحثين والتي من بينها: علامات في الإبداع الجزائري لعبد الحميد هيمة، ومكوّنات النص القصصي الجزائري الجديد لعبد القادر بن سالم وغيرها من الكتب الأدبية. أمّا في مجال الترجمة فقد ترجمة له موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين الصادرة عن وزارة الثقافة.

ولم تقف إبداعاته في الصفحات الورقية فقط بل تجاوزتها إلى أعمال سينمائية حيث أنجز ثلاثة سيناريوهات من أعماله تمثلت في "الجثة الهربة" عن رواية الرماد الذي غسل الماء، "وحميمين الفايق" عن ثلاثين حلقة اجتماعية، "وجني الجني" عن ثلاثين حلقة ثقافية. أمّا عن خشبة المسرح فقد مثلت له مسرحية "البحث عن الشمس" 1996م. " وملحمة أم الشهداء " 2001م، و" سالم والشيطان " 1997م وغيرها من المسرحيات الأخرى.

تحصل عز الدين جلاوي على العديد من الجوائز الوطنية كجوائز وزارة الثقافة بالجزائر سنة 1997م وسنة 1999م، وجائزة جامعة قسنطينة عام 1994م. كما تحصل على جائزة مليانة في القصة والمسرح سنة 1994م، وغيرها من الجوائز التي نالها طيلة مساره الأدبي الإبداعي .

ب- مؤلفاته:

ألّف عز الدين جلاوي العديد من المؤلفات في مجال الدراسات النقدية فقد ألّف كتاب بعنوان " النص المسرحي في الأدب الجزائري " وكتاب آخر بعنوان " شطحات في عرس عازف الناي " اتحاد الكتاب العرب سوريا. وغيرهم من الكتب ليبّذ في مجال الروايات ويصدر له رواية " سرداق الحلم والفجيرة "، " الفراشات والغيلان " ¹، " رأس المحنة " ورواية " الرماد الذي غسل الماء "، أمّا في مجال القصة صدرت له مجموعة " لمن تهتف الحناجر؟ " وخيوط الذاكرة "، وأخرى بعنوان " سهيل الحيرة "

¹ - المرجع السابق، الموقع الإلكتروني: WW.diwwanalarab.com

وقد أصدرت له العديد من المسرحيات على رأسها مسرحية " النخلة وسُلطان المدينة " وغيرها من المسرحيات الأخرى، ولقد أصدر له أخيراً تسعة كتب مسرحية من بينها: " أحلام الغول الكبير " و " البحث عن الشمس ".

كما كتب عز الدين جلاوي أربعين نصاً مسرحياً للأطفال نشرها في كتابين بعنوان " ظلال وحب " و " أربعون مسرحية للأطفال ".

أبدع عز الدين جلاوي في أدب الأطفال فقد كتب العديد من القصص الموجهة للأطفال¹.

ثانياً: التعريف بالرواية:

تتنمي رواية " الرماد الذي غسل الماء " لعز الدين جلاوي من حيث حضورها الأدبي الإبداعي إلى الأدب الجزائري، وهي رواية تصور الواقع الجزائري في فترة التسعينات أو كما سماها المؤرخون بالعشرية السوداء، نظراً لما جرى فيها من أحداث دموية وخراب.

تعد رواية " الرماد الذي غسل الماء " العمل الروائي الرابع لعز الدين جلاوي بعد (سرادق الحلم والفجيرة) و (الفرشات والغزلان) و (رأس المحنة) . وبذلك يكون الكاتب قد جاوز بهذه الرباعية الروائية حدود جنس القصة القصيرة التي ارتدتها في مجاميع (لمن تهتف الخناجر؟) و (خيوط الذاكرة)، (صهيل الحيرة)، فهي رواية قصيرة لا تتجاوز (136) صفحة في نصها الروائي الأدبي، وقد أنجزت كسيناريو بعنوان " الجثة الهرة ". كما تعتبر هذه الرواية رواية بوليسية حيث تقوم حبكتها على التشويق والتحقيق، وهما العلامتين المميزتين للبناء الروائي البوليسي، ذلك أن النص يروي قضية تحقيق أممي للبحث عن الفاعل الحقيقي لجريمة قتل، وعن سر إختفاء الجثة .

¹ - المرجع السابق، الموقع الإلكتروني: WW.diwwanalarab.com

وقد تميزت هذه الرواية بالتوظيف المبتكر لتقنية التحشية التي تخللت النص. بوفرة كادت أن تغطي المتن ذاته، إذ بلغ عددها تسعين حاشية، تقوم بوظائف متنوعة تشمل التعريف بالشخصيات ووصف الفضاءات والتعليق عن الأفعال¹.

ثالثاً: ملخص الرواية:

تعتبر رواية " الرماد الذي غسل الماء " لعز الدين جلاوي رواية اجتماعية بامتياز فهي تعالج مشاكل الفرد في مجتمع انتشرت فيه الرذيلة وساده الظلم والفساد، كما أنها تجسد الصراع القائم بين الطبقة المثقفة والطبقة المتسلطة الغير المثقفة، فرواية " الرماد الذي غسل الماء " تحكي قصة فئة الشباب الضائع الذي لم يسعفه الحظ في الحياة، وانحرفوا ليصبحوا مدمني مخدرات وسكارى وشواذ، إضافة إلى ذلك الطبقة السياسية الفاسدة التي تفرض سيطرتها على الضعفاء وتعمل على النهب والخراب في مدينة عين الرماد.

تقص هذه الرواية قضية جنائية تبحث عن القاتل الحقيقي للجثة، التي عثر عليها كريم السامعي على قارعة الطريق المؤدي إلى ملهى الحمراء، حيث يعتبر هذا الحدث الهام الذي تنطلق منه أحداث الرواية من البداية إلى النهاية.

تبدأ أحداث الرواية بخروج فواز بوطويل من ملهى الحمراء مخموراً وقيادته السيارة وهو في حالة سُكر وإرتكابه الجريمة في المقابل تسعى أمه " عزيزة الجنرال " لتخلصه من قضبان السجن وأبعاد كل أوجه الإتهام عنه، حفاظاً على سمعتها ومكانتها في المجتمع، مسخرة لذلك كل إمكانياتها المادية والمعنوية، مستغلة نفوذها، فقد دخلت في علاقة مع الطبيب " فيصل " حيث " ركب فواز بوطويل سيارة الإسعاف ... في حين ركب الطبيب مع عزيزة التي أخبرته في الطريق أن ابنها تخاصم مع صاحب ملهى الحمراء،... وطلبت منه في الأخير أن يراعي ذلك، ويشهد أن فواز قد دخل المصحّة في حدود الرابعة مساءً، لتكون دليلاً على عدم ارتكابه الجرم"².

¹ - المرجع السابق.

² - عز الدين جلاوي، رواية الرماد الذي غسل الماء ، دار الروائع للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2، 2010، ص 10.

ولم تكتفي بهذا بل جعلت ابنتها تقيم علاقة معه، حتى يكون تحت إمرتها، فقد سخر الطبيب فيصل سلطته في المستشفى لصالح عزيزة الجنرال وشهد شهادة زور في مركز الشرطة متخلياً عن أخلاقيات المهنة وعن قسمة المهني.

كما أن عزيزة الجنرال كانت السبب في وصول كل من مختار الداية ونصير الجان إلى كرسي البلدية لتسهيل على نفسها تحقيق مصالحها الشخصية وتستطيع أن تضع يديها على أملاك مدينة عين الرماد بصفة غير قانونية، كما أنها كانت وراء دخول فاتح اليحيوي السجن الذي راح ضحية كيدها فقد وضعت كل دلائل الجريمة في مزرعة والده إلا أن الضابط " سعدون " لم يقف مكتوف اليدين بل تصدى لمكر عزيزة وسعى جاهداً لإظهار الحقيقة.

كما لم يسلم أفراد عائلة عزيزة الجنرال من بطشها وجبروتها فزوجها سالم بوطويل لم ينعم بالراحة فلقد مارست عليه أسلوب التسلط، فلا دور له فتسيير أمور الأسرة، في المقابل لم تكن هناك أي ردة فعل أو رفض منه وهذا ما أدى إلى انفصالهما، ليبقى سالم غارقاً في ذكرياته مع ذهبيّة حبه الوحيد والإحترام الذي عاشه في كنف والديه.

لقد عمت سلطة "عزيزة الجنرال" مدينة عين الرماد لكن إرادة وعزيمة الضابط سعدون كانت أقوى منها، فقد سعى جاهداً لمعرفة وكشف الجاني الحقيقي للجريمة، رغم ما تعرض له من عراقيل، فقد رسم خطة تمثلت في وضع مقلب يدعي فيه ظهور عزوز المريني وبإنتشار هذه الإشاعة اختلطت أوراق شخصية " عزيزة الجنرال " التي حاولت أن تقطع الشك حول صحة هذه الإشاعة، فقد ذهبت إلى مكان دفنها للجثة ، ليكتشف أمرها حيث "فاجأها جمع غفير، الضابط سعدون بدرة، نواره، سميرة و... فاضطربت وراحت تمسك بيدها المرتجفتين تحاول تسوية شعرها وهندامها... وراح المحيطين بها ينبشون القبر ... وتسلل أحدهم إلى القبر وأخرج الجثة فمددها على الأرض".¹

¹ -المصدر السابق، ص75.

وبهذا تظهر براءة فاتح اليحياوي ويظهر القاتل الحقيقي للجثة، إلا أن نهاية شخصية "عزيزة الجنرال" تبقى غامضة فالسارد في النهاية يشير إلى اختفاءها من كل المدينة ولا يعلم أحد أين ذهبت. فنهاية عزيزة وجماعاتها أحدثت وضعاً جديداً في مدينة عين الرماد إتسم هذا الوضع بالأمن والاستقرار.

الفصل الأول: البنية السردية (المفاهيم والإجراءات)

- أولاً: البنية
- ثانياً: السرد
- ثالثاً: الزمن
- رابعاً: الفضاء
- خامساً: الشخصية

تمهيد:

شكلت ظاهرة المصطلحات، في مجال النقد الأدبي، ظاهرة شائعة أدت إلى اختلاف الآراء حول تحديد مفاهيم هذه المصطلحات، والتي من بينها " البنية السردية"، ولنستطيع الغوص في مضمار بحثنا هذا، سنقف عند بعضها لإزالة الإبهام والغموض عن هذا المصطلح (البنية السردية) وكل ما يتعلق بها من مكونات وآليات سردية.

أولاً: البنية.

اختلف النقاد والدارسون في محاولتهم إيجاد أو تحديد مفهوم دقيق للبنية من حيث هي نظام قائم بذاته من جهة، ومن جهة أخرى أنها مصطلح يتضمنه علم السرديات. ولتوضيح ذلك ندرج البنية من ناحية المفهوم اللغوي والاصطلاحي

1- مفهوم البنية:

أ - لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور: " البنية: وهي مثل رشوة ورشا كأن البنية الهيئة التي بني عليها مثل المشية والركبة، وبني فلان بيتاً بناءً بمعنى، والبنيان الحائط. الجوهري: . والبُنى بالضم مثل البنى يقال: بُنية وبُنى وبنية وبُنَى، بكسر الباء مقصورة مثل جزية وجزى وفلان صحيح البنية أي الفطرة، وأُبْنِيْتُ الرجل أعطيتُهُ بناءً أو ما يبنتني به داره"¹ وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم على صورة الفعل بنى لتدل على المعنى نفسه وهو الهيئة التي يبني عليها الشيء في ذلك قوله تعالى ﴿لَقَدْ تَعَالَىٰ إِلَهُكُمْ أَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرْسَمَهُ بِنْهَا ۚ﴾² ومن هنا فإن كلمة بنية وما يتصل بها من مشتقات بُنى بجميع مدلولاتها الحسية والمعنوية لا تكاد

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 (2003م-1434هـ) مج14، ص116.

² - سورة النازعات الآية 27.

تخرج عن هياكل الشئ ومكونه وهياؤه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ مُتْرَكِينَ مَرْصُورًا﴾¹

فمما سبق نستنتج أن كل المفاهيم اللغوية لكلمة البنية تعني البناء.

ب- اصطلاحاً:

نتيجة لتمظهرات وتجليات البنية في أشكال مختلفة واجه تحديد مصطلح البنية العديد من الاختلافات، فقد كان أول ظهور للمصطلح البنيوي مع الشكلايين الروس (Formalistes rfusses)، أثناء بحثهم الذي تقرر عنه تحليل القوانين البنائية للغة والأدب²، أي البحث في العلاقات الداخلية المكونة للعمل الأدبي .

وبالرجوع إلى أصل البنية نجدها "مشتقة من الفعل اللاتيني (Stquere) يعني حالة تغدو فيها المكونات المختلفة لأية مجموعة، محسوسة أو مجردة، منظمة فيما بينها ومتكاملة، حيث لا يتحدد له معنى في ذاتها إلا بحسب المجموعة التي تتضمنها"³ فالعناصر المنظمة فيما بينها والمتجانسة هي التي تدعى البنية وأي عنصر منفصل عن بقية العناصر لا يكتسب أي معنى إلا بعلاقته بالعناصر الأخرى داخل المجموعة المنتظمة.

أمّا "صلاح فضل" فقد عرّف البنية على أنها " ما يكتشف عنها التحليل الداخلي لكل ما والعناصر والعلاقات القائمة بينها، ووضعها والنظام الذي تتخذه، ويكتشف هذا التحليل عن كل من العلاقات الجوهرية والثانوية معتبراً أن النوع الأول هو الذي يكون البنية التي تعد هيكل الشئ الأساسي أو التصميم الذي أقيم طبقاً له، والذي يمكن الوصول إليه واكتشافه في أشياء أخرى شبيهة"⁴ .

¹ - سورة الصف الآية 04.

² - يوسف وغيلسي (النقد الجزائري المعاصر من الأسنوية إلى الأسنوية) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر(د ط)، 2002، ص118.

³ - المرجع نفسه، ص119.

⁴ - صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد العربي، دار المشرق، القاهرة، ط1، (1419هـ-1998م)، ص121.

وعلى هذا تعتبر البنية "شبكة العلاقات التي تتولد من العناصر المختلفة للكل، بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل، وإذا عرفنا السرد مثلاً بأنه يتألف من القصة والخطاب"¹، فالبنية هي ما تجسد من علاقات وروابط بين مكونات السرد، بين القصة والخطاب، الخطاب والسرد، القصة والسرد.

2- أنواع البنية:

تنقسم البنية إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- البنية العميقة:

والتي بدورها تتألف " من تصورات تركيبية ودلالية شمولية تتحكم في دلالة السرد إلى المستوى السطحي بمجموعة من العمليات أو التحولات"² فالبنية العميقة هي التي تدفع بالسرد إلى الخروج من الشمولية إلى ما هو سطحي.

ب- البنية السطحية:

تعتبر البنية السطحية للنص تلك " الطريقة الخاصة التي تتخلق بها البنية المبكرة (البنية العميقة) للنص، والبنية المصغرة تتعلق بالبنية المكبرة بمجموعة من علاقات التحول"³

ثانياً: السرد.

يعتبر السرد من أبرز عناصر الرواية، ومن أهم التقنيات التي يعتمد عليها الكاتب في نقل سيرورة الأحداث والوقائع، كما أنه علم قائم بذاته " فعلم السرد (Narratology) واحد من أهم العلوم التي تهتم بها النظرية السردية، وقد ازدادت الإسهامات في هذا النوع المعرفي في الثلث الأخير من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين وتعددت

¹ - جيرالد برنس، المصطلح السردية (معجم مصطلحات) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د ط)، 1987، ص224.

² - جيرالد برنس، المرجع نفسه، ص

³ - المرجع نفسه، ص132.

مدارسه واختلفت بشكل عميق حتى وصلت الاختلافات إلى حدود المفاهيم والمصطلحات¹ ولكي نتمكن من فهم هذا المصطلح لابد من إدراج مفهومه في اللغة والإصطلاح كآلاتي:

1- مفهوم السرد:

أ- لغة:

للسرد مفاهيم مختلفة تنطلق من الجذر اللغوي من أبرزها ما وردني في لسان العرب لابن منظور: " السرد في اللغة: تقدمه شيء إلى شيء، تأتي به مُتسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً، وسرد الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث ونحوه يسرد سرداً إذا تابعه"²

فالسرد في اللغة وفق هذا المنظور هو الترسل في الحديث بطريقة متتابعة ومنظمة.

ب- اصطلاحاً:

يختلف كل باحث عن الآخر في محاولة منه في تحديد وضبط مصطلح السرد حسب وجهة نظره، فنجد أن حميد لحميداني يقول: " أن السرد مقترن في تعريفه بالحي الذي على دعامتين أساسيتين:

1- أولهما: أن يحتوي على قصة ما تضم أحداث معينة.

2- ثانيهما: أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سرداً. ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحي بشكل أساسي³. بمعنى أن السرد هو طريقة تعتمد بفهم نوع الحي (قصة، خطاب، حكاية، مقال، ...).

¹ - جيرالد برنس، علم السرد الشكل والوظيفة في السرد، تر. باسم صالح، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 (1433هـ-2012م)، ص3.

² - ابن منظور، مرجع سابق، ص260.

³ - حميد لحميداني، بنية النص السردية (من منظور النقد الأدبي) (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص45).

فالسرد هو الكيفية التي تروى بها القصة... وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها ¹.

أي أن السرد يتعلق بطريقة وكيفية تقديم القصة التي تختلف بدورها من شخص لآخر (الراوي)، فالمتلقي يتأثر بالراوي الذي يقدم هذه القصة، وبالمروي له أي المتلقي الذي يتلقاها وأخيراً بالقصة نفسها.

كما يذهب عبد المالك مرتاض إلى أن أصل السرد في اللغة العربية هو " التتابع الماضي سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الإشتقاقي فكان السرد إذن نسيج الكلام ولكن في صورة الحكى ².

أمّا يان مان مانفريد (Yan Manfrid) يقول: " السرد هو وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جريتها الشخصيات ³ بمعنى أن السرد الوسيلة أو الطريقة التي تنقل بواسطتها الأحداث.

ويعرفه سعيد يقطين على أنه: " التواصل المستمر الذي من خلاله يبدو الحكى (Narrative) كمرسلة يتم إرسالها من مراسل إلى مرسل إليه، والسرد ذو طبيعة لفظية (Verbal) لنقل المرسلة ⁴ . فالسرد من خلال ما سبق لا يقف عند الرسالة اللفظية (اللغة) فقط بل يتجاوزها إلى نتائج الأحداث وكل ما تقوم به الشخصيات من حركات ومشاهد . والسرد القصصي هو ذلك السرد الذي " يتخذ من اللغة وسيلة له فهو يحكي عن طريق اللغة السلوك الإنساني والحركات والأفعال والأماكن، وهي أدوات عالمية الدلالة بخلاف اللغة ذات

¹ - المرجع السابق، ص45.

² - عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، (بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات)، اتحاد الكاتبة العربي، دمشق، 2001، ص58.

³ - يان مانفريد، علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد) تر. أماني أبو رحمة، مكتبة بغداد، سوريا. دمشق، ط1، (1431هـ-2011م) ص12.

⁴ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير) المركز الثقافي العربي بيروت، ط3، 1997، ص41.

الصبغة المحلية ¹ فاللغة ليست المحور الأساسي للسرد إنما هي وسيلة يتخذها لترجمة الحركات والأفعال والأماكن التي تشغلها الشخصيات داخل العمل الأدبي .

وأيسر تعريف للسرد هو تعريف رولان بارت (Rolan Bart) يقول: " إنه يمثل الحياة نفسها، عالم متطور من التاريخ والثقافة " ².

لكن هذا التعريف رغم يسره فإنه عام وفضفاض، فالحياة نفسها عصية على التعريف لغزارتها وتنوعها وسرعة تقبلها، ولإرتباط تعريفها بتعريف الإنسان، ذلك الكائن التمرد على تعريف أو قانون، من ثم كانت الحاجة إلى فهم السرد بوصفه أداة من أدوات التعبير الإنساني، وليس بوصفه حقيقة موضوعية تقف في مواجهة الحقيقة الإنسانية .

2- أنماط السرد:

باعتبار السرد من أهم عناصر الرواية ومن أبرز التقنيات التي يعتمد عليها الكاتب في نقل سيرورة الأحداث والوقائع للمتلقى فهو يرد بنمطين مختلفين موضوعي وذاتي:

أ - السرد الموضوعي:

يمكن القول بأن هذا النمط من السرد هو ذلك السرد يكون فيه "الكاتب مطلعاً على كل شيء، حتى الأفكار السريّة للإبطال" ³، فالراوي في هذا النمط السردية يترك الحرية للقارئ ليفسر ويؤول النص أو العمل الفني بحسب وجهة نظره، ونموذج هذا الأسلوب هو الروايات الواقعية ⁴

¹ - عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، ط3، (1426هـ - 2005) ص10.

² - المرجع نفسه، ص13.

³ - حميد لحميداني، مرجع سابق، ص43.

⁴ - المرجع نفسه، ص49.

ب- السرد الذاتي:

يكون السرد في هذا النمط " تتبع الحكي من خلال عيني الروائي، متوفرين على تفسير لكل خير ¹، فهذا النمط السردى يلغى دور المتلقي المتمثل في التفسير والتأويل، فهذا يقدم لنا قالب جاهز ويدعو إلى الاعتقاد به . " ونموذج هذا الأسلوب الروايات الرومانسية أو ذات البطل الإشكالي ²

3- وظائف السرد:

للسرد العديد من الوظائف ولكل وظيفة دورها في النص الأدبي نذكر منها:

أ - الوظيفة السردية: تعد من أهم الوظائف التي يقوم بها السارد إذ أن " أول أسباب تواجد الرواي سرده للحكاية ³ . أي أن الراوي هو الذي ينقل لنا الأحداث التي تقع في الحكاية .

ب- الوظيفة التنسيقية: حيث يأخذ السارد على عاتقه التنظيم الداخلي للخطاب القصصي " (تذكير بالأحداث الأسبق بها، ربطا لها أو تأليف بينهما ...) وقد ينص على هذه الوظيفة حين يبرمج السارد عمله مسبقاً كما في الجملة التالية: سوف أقص عليكم الأحداث التي وقعت في مكان كذا (...) وسنرى فيما بعد كيف تعقدت الأمور ⁴.

ج- وظيفة الإبلاغ: حيث أن هذه الوظيفة "تتجلى في إبلاغ رسالة للقارئ سواء كانت تلك الحكاية نفسها أو مغزى أخلاقيا أو إنسانيا كما في الحكايات الواردة على لسان الحيوان ⁵. وكمثال على ذلك قصص كليلة ودمنة .

¹ - المرجع السابق، ص48.

² - المرجع نفسه، ص49.

³ - جميل شاكور وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً) دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق - بغداد، (د ط) ص104.

⁴ - المرجع نفسه، ص104.

⁵ - المرجع نفسه، ص105.

د- الوظيفة الإنتباهية: وهي الوظيفة التي تتواجد إلا في بعض الخطابات وهي الوظيفة التي يقوم بها السارد " تتمثل في اختبار وجود الإتصال بينه وبين المرسل إليه، وتبرز في المقاطع التي يتواجد فيها القارئ على نطاق النص حين يخاطب السارد مثلاً بصفة مباشرة كأن يقول الراوي في الحكاية العجبية الشعبية . قلنا يا سادة يا كرام ¹.

هـ- وظيفة استشهادية: هي تلك الوظيفة التي تظهر " حين يثبت السارد في خطابه المصدر الذي استمد منه معلوماته أو درجة دقة ذكرياته كأن يقول: وقعت هذه الحادثة إن كنت أتذكرها جيداً عام 1956 ² فهي وظيفة يقوم فيها الراوي بتدعيم كلامه بأدلة وبراهين .

ن- وظيفة ايديولوجية أو تعليلية: ونقصد هنا ذلك " النشاط التفسير للراوي وهذا الخطاب التفسيري أو التأويلي يبلغ ذروته في الروايات المعتمدة على التحليل النفسي ³، وتتمثل هذه الوظيفة في التعليق على الأحداث، ويتكفل بها الراوي أحياناً لأحدى شخصياته، خاصة إذا ماتعلق الأمر بالحوار، فتنحول إلى الوعظ المباشر لشخصياته.

و- وظيفة إيهامية أو تأثيرية: وتتمثل هذه الوظيفة في " إدماج القارئ في عالم الحكاية ومحاولة إقناعه أو تحسيسه، وتبرز هذه الوظيفة خاصة في الأدب الملتزم أو الروايات العاطفية. ⁴ يستعمل فيها السارد مفردات عاطفية وأخرى تأثيرية في محاولة لتأثير في المتلقي.

ي- وظيفة إنطباعية أو تعبيرية: ونقصد هنا " نبوء السارد المكانة المركزية في النص وتعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة، وتتجلى هذه الوظيفة في أدب السيرة الذاتية أو الشعر

¹ - المرجع السابق، ص105.

² - جميل شاكر وسمير المرزوقي، مرجع سابق، ص105.

³ - المرجع نفسه، ص 104.

⁴ - المرجع نفسه، ص105

الغزلي¹. فهذه الوظيفة تبرز في السيرة الذاتية التي يستخدم فيها السارد ذاتيته في التعبير عن مشاعره، وفي الشعر الذي يغازل فيه حبيبته باستخدام مشاعره .

ومن خلال تقديمنا لمفهوم السرد ، والبنية نصل إلى أن مفهوم البنية السردية تختلف باختلاف النوع السردى والرؤى الفنية الطاغية في النص المعالج ويرى عبد الرحيم الكردي أن البنية السردية " عبارة عن مجموعة من الخصائص النوعية للنوع السردى الذي تنتمي إليه، فهناك بنية سردية روائية وهناك بنية درامية، كما أنه هناك بنى أخرى للأنواع الغير سردية كالبنية الشعرية وبنية المقال² .

وبهذا فالبنية السردية هي مجموعة العناصر التي تتميز العمل الأدبي عن غيره وتختلف باختلاف النوع السردى .

ثالثاً: الزمن.

يعتبر الزمن عنصر من عناصر مكونات الرواية ويرتبط بها في كل أطوارها المتلاحقة، وهو يقرب المشهد الروائى إلى ذهنية المتلقي ويخلق له فضاءً مستمداً من كيان الرواية، وهو نسيج مهم في ربط المكونات الأخرى من مكان وشخصيات، فهو الإطار الذي يؤطر الحقبة التاريخية التي تتحدث عنها الرواية، وللزمن أهمية كبرى في البناء الروائى وهو إيضاح الملامح الحياتية التي تنطلق منها الرواية، فهو بذلك يتظافر مع بقية العناصر الروائية في بيان المحتوى الفكرى الذي يسعى الروائى للحديث عنه ولكن برؤية فنية³ . ومن هذا المنطلق ندرج مفهوم الزمن .

¹ - المرجع السابق، ص106.

² - عبد الحميد الكردي، مرجع سابق، ص49.

³ - ينظر: مرشد أحمد، البنية والدلالة في الروايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005 ط1، ص233.

1- مفهوم الزمن:

أ - لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور " الزمن والزمان: اسم لقليل الوقت وكثيرة، وفي المحكم الزمن والزمان العصر، والجمع أ زمن وأزمان وأزمنة، وزمن زامن شديد، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان والإسم من ذلك الزمن والزمنا ¹ .

فالزمن في اللغة هو الوقت والعصر سواء كان بقلته أو بكثرتة.

ب - اصطلاحاً:

يعد الزمن مكوناً من مكونات النص الروائي، وهو شرط من شروطه فلا يكاد يخلو من الإشارة إليه أو التصريح به، والزمن " معطى مباشر من معطيات الوجدان ويقترب بالحالات الشعورية في النص الأدبي ² .

ويعرفه عبد المالك مرتاض " إنَّ اسم الزمان يقع على جمع من الأوقات، وكذلك المدة، إلاَّ أن أقصر المدة أطول من أقصر الزمن ³ .

ويذهب أفلاطون على أن الزمان " تحديداً لكل مرحلة تمضي لحدث سابق إلى حدث لاحق ⁴ . بينما الزمن في تمثيل أندري لالاند (Alaland) " ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبداً في مواجهة الحاضر ⁵ .

¹ - ابن منظور، مرجع سابق، ص 241.

² - مراد عبد الرحمن مبروك، دراسات أدبية بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، (د ط)، 1998م ص 8.

³ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1423هـ-1998م، ص 171.

⁴ - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص 172.

⁵ - المرجع نفسه، ص 172.

في حين أن غيو (Guyau) ينظر إلى الزمن على أنه " لا يشكل إلا حين تكون الأشياء مهيأة على خط بحيث لا يكون إلا بعد واحد هو الطول "¹. فالزمن من تسلسل الأوقات تتبني عليه الأحداث وفق منظور الإسترجاع والإستباق، فبتقنية الزمن يتمكن الروائي بأن يستحضر الماضي أو يقفز إلى الأمام ليستشرق ما هو آت ومتوقع من الأحداث.

أمّا يان مانفريد (Yan Manfrid) يقول: بأن الزمن هو " الزمن التخيلي الذي تستغرقه الواقعة الفعلية وبصورة أكثر شمولية هو الذي يستغرقه الحديث كله "².

فالزمن من هذا المنظور هو المدة الكلية التي تستغرقها الشخصية في وقوع الحدث. وإن كان " التصور التقليدي يرى أن الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية ففي الرواية الجديدة يمكن القول أن الزمن يوجد مقطوع عز زمنيته "³. فالزمن في الرواية التقليدية بمثابة المحور الأساسي الذي تُبنى عليه الرواية، ولكن الرواية الجزائرية جردته من زمنيته من تلك السلطة التي اكتسبها قديماً لتسطيغها بالخيال، وبؤكد هذا روب غربية (Roup Guribiye) من خلال رؤيته الجديدة للزمن والتي انكر أي تماثل أو انعكاس للزمن الواقعي، وليس هناك أي زمن إلا الحاضر "⁴.

2-أنواع الزمن:

تميز في تقنية السرد بين ثلاثة أنواع للزمن هي كالاتي:

- أ- زمن الخطاب: هو الزمن الذي تعطى فيه القصة زمنيته الخاصة من خلال الخطاب في إطار العلاقات بين الرواي والمروي له (الزمن النحوي).
- ب- زمن القصة: هو زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي إنه زمن أحداث القصة في علاقتها بالشخصيات والفواعل.

¹ - المرجع السابق، ص172.

² - بان منفريد، علم السرد، مرجع سابق، ص119.

³ - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص68.

⁴ - المرجع نفسه، ص 68.

ج- زمن النص: هو الزمن الذي يتحدد أولاً من خلال الكتابة التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنية مختلفة عن زمن القصة أو الخطاب والتي من خلالها يتجسد الزمن¹.

3- المفارقة الزمنية:

لقد " ارتبط الحس الزماني بالحالة المزاجية للفرد، فبعض الأشخاص يعيشون حاضريهم وهم أكثر واقعية، وهناك من يعيش في الماضي فتنتابه الحسرة والندم على ما فاتته، وهناك من يعيش المستقبل حيث يكتظ خيالهم بالآمال الكثيرة والأحلام² فالحياة الإنسانية مبنية على مفارقة في الزمن بين الحاضر والماضي وما هو آت أو ما سيكون (المستقبل) وفي ذلك ندرج مفهوم كل من الاسترجاع والاستباق.

أ- الاسترجاع:

لكل بداية نهاية ولكل نهاية بداية أخرى، بذلك يصبح لكل قصة ماضٍ وحاضر، وكل " عودة للماضي تشكل، بالنسبة للسرد استذكراً يقوم به لماضيهِ الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة، ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية أكثر من غيرها إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه³

الاسترجاع تقنية يتبعها الروائي لترك " مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها والماضي يتميز أيضاً بمستويات مختلفة متفاوتة من ماضٍ بعيد وقريب ومن ذلك نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع⁴.

ومن أنواع الاسترجاع التي يستعين بها الروائي في كتابة نصه نجد:

¹ - ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2001، ص45.

² - مها حسن القصاروي، الزمن في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، إشراف محمود السمرة، الجامعة الأردنية، 2002م ص23.

³ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص215، 2016.

⁴ - سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) مكتبة الأسرة - 2004 - ص58.

1. الإسترجاع الخارجي: يعود إلى ما قبل بداية الرواية.
 2. الاسترجاع الداخلي: يعود إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص.
 3. الاسترجاع المزجي: وهو ما يجمع بين النوعين (الداخلي والخارجي) ¹ فكل عودة إلى الماضي أو استذكار حدث ما تتدرج تحت مصطلح الاسترجاع .
- ب- الاستباق:**

نظراً لأهمية المستقبل فكل شخصية في النصوص الروائية تتطلع لبناء مستقبلها أو ما سيكون عليها حالها لذلك يعتمد السارد استباق الحدث وحكي الشيء قبل وقوعه والاستباق بمفهوم جيرالد برنس (Jirald Bornnes) هو " مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة " ². إلا أن الاستباق تقنية " تتناص مع فكرة التشويق التي تكون العمود للنصوص القصصية التقليدية التي تسير قدماً نحو أحداث الرواية في نفس الوقت الذي يرويها فيه ويفاجئ مع قارئه بالتطورات غير المنتظرة " ³. فالاستباق تقنية تعمل على كسر أفق التوقع في النصوص الروائية .

4- تقنية زمن السرد:

بما أن للزمن مفارقات فإنَّ له تقنيات من أبرزها:

أ- الخلاصة:

من أبرز التقنيات الزمنية السردية نجد الخلاصة التي بدورها تحتل " مكانة محدودة في السرد الروائي بسبب طابعها الاختزالي المائل في أصل تكوينها والذي يفرض عليها المرور سريعاً على الأحداث وأغراضها مركزة بكامل الإيجاز والتكثيف " ⁴.

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 58.

² - جيرالد برنس، مرجع سابق، ص 186.

³ - سيزا قاسم، مرجع سابق، ص 65.

⁴ - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص 145.

فالخلاصة في الزمن تعمل على سرد أحداث ووقائع تمت في مدة طويلة أي عبر فترات زمنية بعيدة خلال سنوات أو أشهر جعله واحدة أو كلمات قليلة .

حيث " تتولد الخلاصة حينما يعتبر زمن الخطاب أصغر من زمن القصة، وحينما يكون ثمة شعور بأن جزءاً من السرد أقصر من المسرود الذي يعرضه وحين يكون هناك نص سردي أو جزء منه لا يتماثل مع زمن سردي طويل نسبياً ¹ .

فالخلاصة تستخدم للموازنة بين زمن السرد وزمن النص.

ب- الحذف:

يضطر السارد لحذف مقاطع من السرد تاركاً الفرصة أمام القارئ ليعمر هذا الفراغ وفق تأويله والحذف أو الاسقاط " يعتبر وسيلة نموذجية لتسريع السرد عن طريق إلغاء الزمن الميت في القصة والقفز بالأحداث إلى الأمام بأقل إشارة أو بدونها ² .

فالغرض من استخدام تقنية الحذف هو تسريع السرد والعبور إلى الحدث الأهم أو الزمن الأهم.

وأما " حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها السرد شئ يحدث الحذف عندما يسكت السرد عن جزء من القصة أو يشير إليه فقط بعبارات زمنية تدل على موضع الحذف ³ .

ويختلف الحذف من حين إلى آخر باختلاف أنواعه فمن بين أهم أنواع الحذف ما يلي:

1- الحذف المعلن:

هو إعلان الفترة الزمنية المحذوفة على نحو صريح، سواء جاء ذلك في بداية الكلام المحذوف " كما هو شائع في الاستعمالات العادية.

¹ - جيرالد برنس، مرجع سابق، ص226.

² - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص156.

³ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم) الدار العربية للعلوم، ط1، 1431هـ-2010م، ص95.

أو تأجلت الإشارة إلى تلك المدة إلى حين استئناف السرد لمساره¹.

2- الحذف الضمني:

هو الحذف الذي "لا يكاد تخلو منه الرواية ... وذلك لسبب بسيط هو كون السرد عاجزاً عن التزام التتابع الزمني الطبيعي للأحداث، ومضطرباً ثم إلى القفز بين الحين والآخر على الفترات الميتة في القصة"².

3- الحذف الافتراضي:

هو ذلك الحذف الذي يأتي " في الدرجة الأخيرة بعد الحذف الضمني ويشترك معه في عدم وجود قرائن واضحة تسعف على تعيين مكانة أو الزمان الذي يستغرقه، وكما يفهم من التسمية التي يطلقها عليه جنيت فليس هناك من طريقة مؤكدة لمعرفة سوى افتراض حصوله بالاستناد إلى ما قد نلاحظه من انقطاع في الاستقرار الزمني للقصة مثل السكوت عن الأحداث فترة من المفترض أن الرواية تشملها"³. والحذف من التقنيات التي تحيي النص من جديد حيث تفتح له فرص تعدد القراءات والتأويلات المبنية على توقع ما حدث أو سيحدث في الفترات المحذوفة.

5- أهمية الزمن الروائي:

أدت الدراسات الحديثة أو المعاصرة إلى تغيير مفاهيم الزمن، فلم يعد ذلك الخيط الرابط بين الأحداث فقط، بل ارتقى ليكون أعظم شأناً في النصوص الحديثة، وتقنية تخضع لتلاعبات المبدع الفنية، " فاحترام التسلسل المنطقي للزمن لم يعد شيئاً ضرورياً في بنية الرواية الجديدة التي تحرص أشد الحرص على تدمير البنية الزمنية، إما بالتمطيط والتطويل وإما بالتمزيق والتبديد، وإما بالتأخير والتقديم"⁴.

¹ - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص159.

² - المرجع نفسه، ص162.

³ - المرجع نفسه، ص164.

⁴ - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص28.

كما أنه لا يمكن فصل الزمن عن بقية العناصر البنائية، " حيث أنه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها. فالزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلاّ خلال مفعولها على العناصر الأخرى، الزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع ¹. فعلى الزمن تترتب العناصر البنائية الأخرى كالتشويق و الإيقاع والحدث والقصة كلها فهو بذلك العنصر المحدد لطبيعة الرواية وشكلها .

رابعاً: الفضاء.

1- مفهوم الفضاء:

أ- لغة:

ورد في قاموس المحيط المكان على أنه " الموضع وجمع أمكنة وأماكن " ². فالفضاء هو المكان والموضع والحيز.

ب- اصطلاحاً:

يعرف الباحث السيميائي لوتمان (Loutman) المكان يقوله: "هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات أو الوظائف. أو الأشكال المتغيرة) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال، المسافة ... " ³ بهذا فالمكان أو الفضاء هو الأشكال والظواهر المألوفة التي تربط بينهم علاقات فضائية .

إن المكان في النص الروائي يختلف عن باقي الفضاءات الخارجية فهو " ليس مكاناً معتاداً كالذي نعيش فيه أو نخترقه يومياً، ولكنه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي وسواء جاءني في صورة مشهد وصفي أو مجرد ايطار للأحداث فإن مهمته

¹ - سيزا قاسم، مرجع سابق، ص38.

² - مجد الدين الفيروز بادي، قاموس المحيط، تح أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2 2007، ص1243.

³ - محمد بوعزة، مرجع سابق، ص19.

الأساسية هي التنظيم الدراسي للأحداث¹. فالمكان تقنية تعمل على إدراج الأحداث وفق تسلسلها الدرامي في " شبكة من العلاقات والرؤيا ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجرى فيه الأحداث²."

كما تتمتع الرواية العربية أو العمل الأدبي ككل بازدواجية المكان الواقعي والخيالي، فالمكان الواقعي أي الحقيقي المؤلف هو (البيت، المقهى، السجن...) أما الخيالي فمن صنع الشخصية الروائية وهو " يتميز عن المكان في الفنون البصرية لأن المكان المتخيل لا يمكن عرضه على نحو كامل³، فهو يظهر ويتجسد وفقاً لمتطلبات الدور أو الصراع الذي تقوم الشخصية ببناءه في النص .

وباعتبار الفضاء معادل للمكان في البنية السردية " يفهم الفضاء في هذا التصور على أنه الحيز المكاني في الرواية أو الحكى عامة ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي⁴ فالمكان يندرج ضمن العناصر المكونة للفضاء وهي " الأماكن المتفرقة المتمردة خلال مسار الحكى والفضاء هو كل هذه الأشياء إنه يلف مجموع الحكى ويحيط به⁵ وظهر في النص الروائي بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق حركة الحكى .

2-أنواع الفضاء:

ثمة تصنيفات كثيرة للفضاء وسنكتفي بإيراد التصنيف الأكثر شيوعاً وقد اقترحه حميد لحميداني الذي " يبدو أكثر وعياً بماهية الفضاء وابعاده الواسعة، فيرى أن مفهوم الفضاء يتخذ أربعة أشكال⁶ وهي:

¹ - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص30.

² - يان مانفريد، مرجع سابق، ص127.

³ - المرجع نفسه، ص127.

⁴ - حميد لحميداني، مرجع سابق، ص53.

⁵ - المرجع نفسه، ص66.

⁶ - المرجع نفسه، ص62.

أ- الفضاء الجغرافي:

وهو مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض انهم يتحركون فيه .

ب- الفضاء النصي:

هو فضاء مكاني أيضا، غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية باعتبارها أحرفا طباعية . على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثة للكتاب .

ج - الفضاء الدلالي:

يشير إلى الصورة التي تخلقها اللغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام.¹

د - الفضاء كمنظور:

ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الرواي (الكاتب) بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على وجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح².

3- المكان وعلاقته بالمضمون الروائي:

إن الإبداعات الروائية يخلق اتجاهات في مجال الكتابة الروائية " بما تحمله من تطورات عن العالم تحدد دائما طبيعة التعامل مع التقنيات الروائية. ومنها تقنية وصف المكان، فإما أن تتم العناية بالمكان، وإما أن يتضاءل ويتخذ شكلا جديداً مخالفاً للأساليب السابقة في الكتابة الروائية، وقد نبه أحد النقاد إلى هذا الجانب، أي إلى تأثير الرؤية المضمونية. على أساس الوصف المكاني والديكور بشكل عام³. فالرؤية السردية غالباً ما تؤثر في الفضاء خاصة على مستوى الخلفيات والديكور.

¹ - ينظر: بان منفريد، مرجع سابق، ص62.

² - حميد لحميداني، مرجع سابق، ص62.

³ - المرجع نفسه، ص67، 68.

4- أهمية المكان كمكون للفضاء الروائي:

إن تشخيص المكان في الرواية، هو " يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شئ محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها. أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور، والخشبة في المسرح وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني... وفي إطار التأكيد على أهمية المكان يشير جيرار جنيت إلى الانطباع الذي كونه مارسيل بروسست (Marrsil Brouste) عن الأدب الروائي، إذ يتمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهماً على أن يسكنها أو يستقر فيها إن شاء"¹. وقد تبين لنا هنا بالنسبة لأهمية المكان كمكون للفضاء من العناصر البنائية في المحكيات عموماً والروايات خصوصاً.

إن تعدد الأمكنة في الرواية العربية وارتباط كل مكان منها بحدث وإسهامه في الدلالة على جانب الشخصيات وعلاقتها، وتعدد الأمكنة يلبي الحاجة العالية الخاصة برصد تطورات الشخصية ووصف كل مكان منها سبيل الراوي إلى جعل القارئ يرى البيئة المختارة وهي تتبدل وتتغير.

ويلعب المكان دوراً هاماً في خلفية التشويق الذي يكمن في قيام الراوي بربط الأمكنة الروائية وهي مكونات الفضاء الروائي بوجهات نظر الشخصيات في الحدث الروائي².

خامساً: الشخصية.

تلعب الشخصية دوراً رئيسياً في العمل الأدبي، كونها المحور الذي يجسد بقية التقنيات في العمل الأدبي السرد من زمن وفضاء فهي التي تحدد المكان وتعطيه أبعاد ودلالات متعددة بتعدد الدور الذي تشغله هذه الشخصيات في النص، كذلك الزمن فهي التي تحدده وتضفي عليه العديد من الدلالات ليصبح ذا قابلية للتأويل.

¹ - المرجع السابق، ص65.

² - ينظر: سمير روجي الفيصل، الرواية العربية والبناء والرؤيا، (مقاربات نقدية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (د ط) 2003، ص88.

1- مفهوم الشخصية:

أ- لغة: ورد المفهوم اللغوي للشخصية في لسان العرب لابن المنظور " الشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد تقول ثلاثة أشخاص وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه، وفي الحديث لا شخص أغير من الله والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات ¹. فالشخص هو كل ماله جسم وجمعه أشخاص.

ب- اصطلاحاً:

لقد اختلف الدارسون في محاولة إعطاء الشخصية مفهوم محدد كمصطلح يندرج ضمن علم السرديات، و" كنصر أدبي يظفر في العمل الأدبي ضمن عطاءات اللغة التي يغذوها الخيال للنهوض بالحدث، والتكفل بدور الصراع داخل هذه اللعبة السردية العجيبة ².

يقول عبد المالك مرتاض أن الشخصية " صورة مصغرة للعالم الواقعي ³ فهي تمثل كل ما في العالم من شر أو خير وهي بدورها تعكس آلام المجتمع وآماله . فالشخصية انعكاس للواقع الإنساني، تعمل على ترجمة الحياة بما فيها من أحداث وحركات وصور إلى اللغة التي تضي عليها جانب من الخيال لتتبنى الصراع القائم داخل النص.

وفي ذلك يقدم قريماس (Grummasse) " فهما جديداً للشخصية في الحكي هو ما يمكن تسميته بالشخصية المجردة، وهي قريبة من مدلول الشخصية المعنوية في عالم الاقتصاد، فليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد، وذلك أن العامل في تصور قريماس يمكن أن يكون أن يكون ممثلاً بمثلين متعددين ⁴.

¹ - ابن منظور، مرجع سابق، مج7، ص50.

² - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص75.

³ - المرجع نفسه، ص73.

⁴ - حميد لحميداني، مرجع سابق، ص53.

2- أنواع الشخصية:

تختلف الشخصية باختلاف الدور الذي تؤديه في النص وفي تفاعلها مع الأحداث، ففي كل عمل أدبي هناك شخص أو مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بدور رئيسي فيه، إلى جانب شخصيات أخرى ثانوية تساعد الشخصية الرئيسية في القيام بدورها.

أ- الشخصية الرئيسية:

حيث أن هذه الشخصية لها العديد من الأشكال " وهي الشخصية المعقدة، المركبة، متغيرة، دينامية، غامضة لها قدرة على الإدهاش والإقناع، تقوم بأدوار حاسمة، في مجرى الحكي، تستأثر بالإهتمام يتوقف عليها فهم العمل الروائي، ولا يمكن الاستغناء عنها"¹ ويعرفها يان مانفريد (Yan Manfrid) على أنها " شخصية ثلاثية الأبعاد المميز بخصائص كثيرة بل ومتضاربة أحيانا، وتميل الشخصية المستديرة إلى أن تتطور في سياق الفعل"².

يطلق عليها اسم الشخصية المستديرة النامية المدورة. فالشخصية الرئيسية هي قابلة للتغيير والنمو داخل العمل الأدبي كما أنها مركبة وغامضة.

ب- الشخصية الثانوية:

هي الشخصية " المسطحة، أحادية، ثابتة، ساكنة، واضحة، ليست لها جاذبية، تقوم بدور تابع عرضي لا يغير مجرى الحكي لا أهمية لا يؤثر غيابها في فهم العمل الأدبي"³. ويطلق عليها يان منفريد، اسم الشخصية المسطحة الثابتة ويعرفها على أنها " شخصية أحادية البعد تتميز بمدى ضيق ومقيد من أنماط الكلام والفعل والشخصية المسطحة لا

¹ - محمد بوعزة، مرجع سابق، ص58.

² - يان منفريد، مرجع سابق، ص110.

³ - محمد بوعزة، مرجع سابق، ص58.

تتطور في سياق الفعل، ويمكن اختزالها إلى نمط أو كاريكاتير ¹ فالشخصية الثانوية أو المسطحة أقل أهمية من الشخصية الرئيسية، فلا يؤثر غيابها على النص.

3- تصنيفات الشخصية:

1- 3- تصنيف فلا ديمير بروب (Vladimir Bropp):

اعتمد بروب في تصنيفه للشخصيات، إنطلاقاً من تحليل الحكاية العجيبة في كتابة " مورفولوجيا الحكاية الشعبية" على وظائف (31 وظيفة) التي تقوم بها الشخصيات في هذه الحكايات، والتي حصرها في سبع شخصيات وهي:

1- المعتدي أو الشرير Agresseur ou méchant

2- الواهب Donateur

3- المساعد Auxiliaire

4- الأميرة Princesse

5- الباعث Mrandateur

6- البطل Héros

7- البطل الزائف Faux Héros

وتعتبر هذه الشخصيات أساسية حاضرة في جميع الحكايات لتقوم بتأدية هذه الوظائف الواحد والثلاثين مع اختلاف أسمائها وأوصافها².

2- 3- تصنيف غريماس (A.Jgreinas):

جاء تصنيف غريماس للشخصيات انطلاقاً من أبحاث " بروب" حيث قدم لنا النموذج العاملي، أين أطلق على الشخصية مسمى العامل وحددها في ستة عوامل:

¹ - يان منفريد، مرجع سابق، ص140

² - ينظر: حميد لحميداني، مرجع سابق، ص25.

Destinateur	1- المرسل
Destinataire	2- المرسل إليه
Sujet	3- الذات
Objet	4- الموضوع
Adjuvant	5- المساعد
Lopposant	6- المعارض ¹

3-3 - تصنيفات تودوروف:

حيث قسم الشخصيات حسب الوظيفة التي تؤديها كل شخصية وهي:

أ- **الشخصية العميقة:** التي تتوفر على أصناف متناقضة، وفي هذه الحالة تصبح شبيهة بالشخصية الدينامية.

ب- **الشخصية السطحية:** التي تقتصر على سمات قارة ومحدودة، وهذا لا يمنعها من القيام بأدوار حاسمة في بعض الأحيان².

ويظهر هذا الفرق بين هاتين الشخصيتين في أن الشخصية العميقة متطورة وحركية، أما السطحية فهي ثابتة لا تتغير.

3-4 تصنيفات فيليب هامون (Filib Hamoun):

يصنف فيليب هامون الشخصية من منظور سيميولوجي إلى ثلاث فئات وهي:

أ- **فئة الشخصيات المرجعية:**

وهي شخصيات " تاريخية " (نابليون الثالث في ريش ليوعند...) شخصيات أسطورية

(فينوس، زيوس) شخصيات مجازية (الحب، الكراهية) شخصيات اجتماعية

¹ - ينظر: حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 25.

² - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص 215، 216.

(العامل، الفارس، المحتال) تحليل هذه الشخصيات على ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما، كما تحليلنا على أدوار وبرامج واستمالات ثابتة ¹.

ب- فئة الشخصيات الإشارية:

حيث تعتبر هذه الفئة من الشخصيات " أنها دليل على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنها في النص، شخصيات ناطقة بإسمه، جوقة للتراجيديا القديمة، المحدثون السقراطيون، شخصيات عابرة، رواة ومشابههم... ويكون من الصعب أحيانا الإمساك بهذه الشخصيات ².

ج - فئة الشخصيات الاستذكارية:

يعتبر المحدد الوحيد لهذه الشخصيات هو المرجعية التامة للنص " كمرجعية النسق الخاص بالعمل وحده، فهذه الشخصيات ... تكون وظيفتها من طبيعة تنظيمية وترابطية بالأساس، إنها علامات تنشط ذاكرة القارئ بعبرة أخرى، إنها شخصيات للتبشير ³.

4- أهمية الشخصية:

تعتبر الشخصية من أهم المكونات السردية وأساس في بناء الرواية فهي " قادرة على تعرية أجزاء منا نحن الأحياء العقلاء، كانت مجهولة فينا أو لدينا ⁴ فالشخصية بمثابة المرأة العاكسة للواقع المعيش وكاشفة لخبايا النفوس من جهة أخرى، ولقد تمتعت الشخصية بكل " الإمتيازات الفنية التي جعلتها في كثير من الأحيان تتفوق على القدرات العقلية والبدنية للشخص نفسه مما يجعل تمثيل تلك الأدوار أمراً عسيراً ⁵.

فالشخصية هي العنصر الفعال والمحرك داخل النص الروائي لما تحمله من مميزات تكتسبها بفضل الدور الذي يُلبسه الكاتب لها .

¹ - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، سعيد بنكراد، دار الحوار، ط1، 2013، ص35.

² - المرجع نفسه، ص37.

³ - نفسه، 37 ، 38 .

⁴ - عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص79.

⁵ - المرجع نفسه، ص80.

خلاصة:

من خلال ما سبق نستنتج أن للبنية السردية مفاهيم مختلفة نتيجة لإختلاف التيارات والمدارس الأدبية، أمّا في حوصلة هاته المفاهيم نستطيع القول أن البنية السردية هي مجموعة العناصر التي تميز العمل الأدبي عن غيره وتختلف بإختلاف النوع السردى، وتتمثل هذه العناصر في بنية الزمن التي بدورها هي الأخرى لها مفاهيم متعددة، وأنواعها التي من بينها زمن القصة وزمن الخطاب وزمن النص، كما لا ننسى المفارقات الزمنية وتقنية زمن السرد، إضافة إلى ذلك نجد عنصر آخر يتمثل في بنية الفضاء الذي يعتبر المكان أو الديكور الذي تدور فيه أحداث السرد، ويتمثل في الفضاء المغلق والمفتوح، والفضاءات النصية وغيرها. أمّا العنصر الأخير فقد تمثل في بنية الشخصية التي تعتبر العنصر الفعّال والمحرك لأحداث النص، تسير وفقاً لوتيرة الزمن وانقسم إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية أو مساعدة.

فالبنية السردية هي نتاج لمزيج من هذه العناصر الثلاث: الزمن، الفضاء، الشخصية حيث تتفاعل فيما بينها لتجسد لنا بنية سردية وفق منظور أو رؤية سردية موحدة.

الفصل الثاني: تجليات مكونات البنية السردية في رواية

" الرماد الذي غسل الماء "

- أولاً: الزمن
- ثانياً: الفضاء
- ثالثاً: الشخصية

تمهيد:

اعتماداً على ماتطرقنا إليه في الفصل النظري سنحاول بناء دراستنا لرواية " الرماد الذي غسل الماء " لعز الدين جلاوجي وفقاً لهذه العناصر السردية، والتي تمثلت في مكونات البنية السردية وهي كالاتي: الزمن، الفضاء، الشخصية.

أولاً: الزمن:

يعد الزمن أهم عنصر من عناصر السرد حيث أولاه النقد قديماً وحديثاً ملحوظة، فهو يعد الايقاع الذي يضبط أحداث الحياة والشاهد الحي على مصير شخصياتها.

1- المفارقات الزمنية في الرواية:

تعتبر المفارقات الزمنية من أبرز عناصر البنية الزمنية في النص الروائي المعاصر فهي مزيج من الفترات الزمنية أو تداخل زمن الماضي والحاضر والمستقبل يطلق عليها الباحثون مصطلحي الإسترجاع والاستباق.

أ- الاسترجاع:

يحدث الاسترجاع عندما يوفق السارد عجلة الأحداث، ليعود إلى الوراء مسترجعاً أحداث ووقائعها، حصلت في الماضي و" الاسترجاع أو الفلاش باك (Flash back) مصطلح روائي حديث يعني الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب (...) مسترجعاً ذكريات الأحداث والشخصيات الواقعة قبل أو بعد الرواية¹.

ولقد حظيت رواية " الرماد الذي غسل الماء " بنصيب وافر الاسترجاعات وتظهر هذه التقنية بشكل بارز من خلال شخصية " عزيز الجنرال " برجوع هذه الأخيرة إلى الماضي طفولتها تلك الذكريات المليئة بالشفاء والأحزان وزمن اليتيم والاضطهاد في قوله: " تغوص في تلافيف الذاكرة ... تقلب صفحات الطفولة... وهي تحاول أن تحصي أمها بيديها

¹ -آمنة يوسف، مرجع سابق، ص103،104.

الصغيرتين من ضربات سوط أبيها التي كانت صواعق صادقة... ولم تكن الأم تقدر على دفعها إلا بالعويل الشديد، ولا تجد عزيزة ملجأ إلا حضن والدتها الجريح، وتنام على أجهاشها المتقطع¹.

لقد استطاع الروائي من خلال توظيف الاسترجاع أن يعكس عمق الصراع القائم في ذات الشخصية إنه الماضي (زمن الطفولة المعنفة) لعزيرة الجنرال، والمبرر وأمالها العدوانية وتجاوزاتها الأخلاقية والاجتماعية، والسياسية، وتمردتها في الوقت الحاضر، وإعطاء تفسير لكرهها الرجال ولعنها الدائم لهم ويتجلى ذلك في قولها: " رحم الله أمي كانت تقول: الرجال كاليهود، لا أمان لهم ولا عهود "².

ويرد استرجاع لأحداث شخصيات أخرى كشخصية الراقصة " لعلوة " حيث أنها: "تذكر جيداً ذلك الصباح الذي كانت فيه برفقة أمها في السوق تجمعان فضلات الخضر والفواكه لتعودا بها مساءً إلى بيتهما القزديري المعزول، تذكر حين إنتقتها السيدة جميلة وكيف راحت تحرق في الصبية وفي عينيها دهشة قائلة: ترمين الدر بالمزابل وتدثرينه بالحرق البالية ؟ عقابك عند الله عسير، بيعيني الفتاة، ومدة يدها فأمسكتها، ودق قلب الأم خوفاً فتشبثت بها واتفقا أخيراً على أن تمنحها مليونين كل شهر مقابل أن تعيرها لعلوة أربعة أيام في الأسبوع وكانت لعلوة في ثيابها البالية، غير المتناسقة ملفوفة بالكآبة "³.

إن هذا المثال يصف حالة " لعلوة " قبل أن تصبح راقصة مشهورة، في زمن أصبح فيه كل شئ سلعة يباع ويشترى، فالسارد يصف الصفقة التي دارت بين الأم والسيدة " جميلة " والتي من خلالها ستمنحها لعلوة أربعة أيام في الأسبوع مقابل مبلغ قدره مليونين كل شهر، ومن هنا ينفتح أفق التأويل، بأن تكون تلك الصفقة عبارة عن احتكار في إحدى الملاهي التي تديرها السيدة " جميلة " .

¹ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق ، ص40.

² - المصدر نفسه، ص107.

³ - المرجع نفسه، ص05.

فقد يظهر الإسترجاع عند ظهور شخصية جديدة للتعرف على ماضيها وطبيعتها علاقتها بالشخصيات الأخرى¹ من أجل إزالة الغموض عن ماضي هذه الشخصية.

وفي عرض لوصف الأحياء الفقيرة على لسان شخصية مختار الدابة: " ومن زوج من هذا الحي، وكل نساءه عاهرات... إلا إذ كان شيخاً اللذة لا الذرية². وهذا ما يعكس خلفية الأحياء الفقيرة المستغلة من قبل جميلة وأمثالها.

إن هذا الزمن، ببعد " الكابوس الموجل " طغى على الشخصيات الحاضرة في متن هذا السرد، إنه يتمادى ليفضح ماضي (زهيرة الزينة) والدة " عمار كرموسة " " الذي طالما تجنب الخوض في تجاعيد أسرته ... فهو لا يعرف لأبيه ملمحاً ... قيل أنه سافر إلى بلاد الغربية، ولم يعد... وقيل أنه مات... وجد جثة هادمة في صباح شتوي قارس ... لم يقتله البرد، ولكن قتله الكحول الذي غدا أسير مخالفه ... لكنه كان بعرف أمه ... زهيرة الزينة (...) علم أنها ماتت مخمورة في حادث مرور مع رفيق لها³.

يحيلنا هذا الزمن الرمادي إلى تحفيز القارئ نحو التفكير واستنتاج تأويل المسار الذي ستتخذه الشخصية في حياتها في ما بعد ودفعه إلى التكهّن بالزمن الضياع والتشتت الذي ينتظر عمار كرموسة.

وفي مقابل الإسترجاعات الكابوسية الرمادية التي اصطبغت بطابع اليتيم والفقير استرجاعات أخرى تحمل طابعاً آخر طابع الصفاء، زمن الماضي المشرق الذي عمل الحاضر على تدنيسه، كمثال على ذلك نذكر استرجاع " سالم بوطويل " لأيامه الجميلة مع " ذهبية بنت الطاهر " التي بدأ فيها قلبه ينبض بالحب، " وأغمض عينيه وراح يتلاعب بابهامه، وقد عادت إلى ذاكرته أيامه الجميلة مع " ذهبية بنت الطاهر"، ثم عبست ملامح

¹ - زهية سعدي، جماليات الزمن في الرواية الجزائرية العربية (ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي - أنموذجاً) اشرف خيرة

بلجيلالي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم 2017-2018، ص46.

² - عز الدين جلاوي ، المصدر السابق ، ص51، 52 .

³ - المصدر نفسه، ص16.

وجهه، وقد قفزت إلى ذاكرته مشاهد ذلك اليوم العصيب، والموكب يخرج ذهبية لتزف عروساً لرجل لم يعرفها ولم تعرفه...¹

تبين في هذا الاسترجاع حنين " سالم بوطويل " إلى ماضيه مع ذهبية بيت الطاهر مليء بالحب والصفاء الذي غمر حياتها إلى أن جاء ذلك اليوم المشؤوم الذي فيه افترقا وضاعت أحلامها وتزوجت حبيبته برجل غريب.

لكن هذا الزمن سرعان ما يزول أمام سطوة الزمن الحاضر الذي تمثله " عزيزة الجينرال " في حياة " سالم بوطويل " وهو يشير إليه قول السارد " دخلت عزيزة تبحث عنه فإغتالت أحلامه"².

ونستنتج من ما سبق أن هذه الاسترجاعات لها دور مهم في تقديم الشخصيات الروائية حيث جسدت صورة عن ماضي كل شخصية على حدى، وتبنى المتن الحكائي استرجاعات إنعكست على الحاضر بأساليب سلبية وأخرى دنسها الحاضر، وقد حققت هذه التقنية التوازي والمسايرة بين الحاضر والماضي واستناداً إلى الذكريات.

" إذن فالإسترجاع تقنية تعتمد بصورة أساسية على فاعلية الذاكرة إذ تعمل بأقصى طاقتها في جلب الواقعة الماضية واستدراجها في اللحظة الزمنية المناسبة على نحو يلائم الوضع السردى القائم"³. فهي تقنية تعمل على إضاءة ماضي الشخصيات.

ب- الإستباق:

الإستباق هو الطرف الثاني من تقنيات المفارقة السردية إلى جانب الإسترجاع وهو يعني " من حيث مفهومه الفني تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة، فلا يتحقق"⁴ وفيه السارد على الفقر إلى المستقبل ليوضح الرؤية المتوقعة لما سيكون من أحداث ووقائع في المستقبل تجسد الاستباق في رواية " الرماد الذي غسل الماء " بنسبة أقل مقارنة والإسترجاع الذي جاء

¹ - زهية سعدي، المصدر نفسه، ص21.

² - عز الدين جلاوي، السابق، ص37.

³ - زهية سعدي، مرجع سابق، ص48.

⁴ - آمنة يوسف، مرجع سابق، ص119.

بكثرة في نص الرواية، وكمثال على تقنية الاستباق قول السارد على لسان شخصية " عمار كرموسة " حول مكان عزوز والأماكن قائلًا: " وقد تقاذفته الشكوك الكثيرة... إما أن الشرطة قد ألقت القبض وستحلقهم طامة قريباً، وإما أن نفسه حدثته بالإستلاء على الكمية وبيعها وسيدفعون الثمن موتاً زوأمًا مع الزربوما"¹.

وكمثال آخر عن الاستباق الغير متحقق، فقد تمثل في شخصيات " سمير المريني " و " عبد الله المريني " حول قائل " عزوز " كان كل منها يسبع في افتراضات لاحد لها، كلاهما كان يخمر أو واحد من شلة المخدرات هي التي قتلت عزوز... قد يكون " فريد لعور "... أو " عمار كرموسة "... قد يكون الزربوط... وقد يكونون جميعاً مشتركين في الجريمة النكراء"².

في ما سبق كان الاستباق غير متحقق حيث أن الشرطة لم تقبض على عزوز في المثال الأول، وأن الشخصيات التي ذكرها كل من سمير وعبد الله المريني لا تمت بأي صلة لقضية مقتل عزوز، فالقائل شخص آخر غير من هذه المجموعة التي ذكرت في المثال الثاني يوازي الإستباق الغير متحقق نوع آخر ألا وهو الاستباق المتحقق، ومثال ذلك ما جاء حول الشخصية المفقودة " عزوز "، " عزوز لم يظهر لا هو، ولا الأمانة (...) إندفع سمير كالآلي يدفع الثمن ويفتح الجريدة على عنوان كبيراً إختفاء لجثة شاب قتل في ظروف غامضة وسأل " عمار كرموسة " بحيرة، ولمن تتصور الجثة؟ هل يمكن أن تكون لعزوز؟"³. وفي مثال آخر " لم يجدو الجثة حتى الآن لكنهم يرجعون أنها لعزوز لأن الذي اختطف الجثة ترك فرداً من حذائه"⁴.

وهنا يتحقق الاستباق لأن السرد سيتوالى مصرحاً أن الجثة هي حقا جثة عزوز.

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص15.

² - المصدر نفسه، ص22.

³ - المرجع نفسه، ص15.

⁴ - المرجع نفسه، ص25.

" فالاستباق إذن هو كل مقطع حكائي يروي أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها... ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الأحداث في الرواية عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدث، أي القفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب، لإستشراف مستقبل الأحداث، والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية، وعلى المستوى الوظيفي تعمل هذه الاشراقات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة، أو التكهّن بمستقبل إحدى الشخصيات، كما إنها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات"¹ مثل ما حدث معنا في هذه الرواية.

2- تقنيات زمن السرد:

هي تقنية تساعد الروائي في القفز على فترات زمنية أو حذف أحداث من الرواية بغية تسريع وتيرة السرد. تتمثل في التلخيص والحذف.

أ- التلخيص:

يعد التلخيص منفذاً من المنافذ التي يستغلها القارئ لمليء الفراغات النصية وهي تقنية يقوم بها الروائي . " لتلخيص الأحداث الروائية الواقعة في عدة أيام أو شهور أو سنوات في مقاطع معدودات وفي صفحات قليلة دون أن يخوض في ذكر تفاصيل الأشياء "² بغية ترك فضاء نصي للتأويل من قبل القارئ. وهذه التقنية لها حضور قوي في رواية " الرماد الذي غسل الماء " وفي مثال على ذلك قد لخص السارد ماضي شخصية " مراد لعور في الثلاثين من العمر ... طويل، نحيف أحول العين اليمنى، نشأ في أسرة ميسورة تميل إلى التدين ... معظم أفرادها يحفظون القرآن الكريم، أبوه من مجاهدي ثورة التحرير،... قضى سنوات نشيطاً ضمن صفوف الجماعات الإسلامية، يحضر حلقات توجيهاتها وذكرها... دخل الجامعة ليدرس الآداب ... وقع في شباك حب زميلة له ، نافسها عليه أستاذة وظفر بها...

¹ - رسول بلاوي، البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية " العنبر " لحسين مرتضائيان أبكنار - إشراف: حسين طرقي عليوي - جامعة خليج فارس بوشهر، ص19.

² - آمنة يوسف، مرجع سابق، ص121.

تمرد، فظرب أستاذه ليطرد من الجامعة... تشرد وتمرد¹ على كل قيم الأسرة والمجتمع دخل السجن مرة بتهمة حيازة وتناول المخدرات.

فمن خلال هذا المثال قد لخص السارد حياة " مراد لعور " التي طولها ثلاثين سنة في بضعة أسطر، إذ وقف على أهم مراحل حياته التي تميزت بالضياح والتشتت، انطلاقاً من إنتماءه للجماعات الإسلامية ثم دخوله الجامعة، وفشله في الحب وطرده من الجامعة لينتهي به الأمر في السجن بقضية الممنوعات.

فالتلخيص أو الخلاصة " حركة سردية تقترب من الحذف ولا تلامسه، في الحذف تقفز فوق الأحداث التي جرت في فترة زمنية معينة دون أن نذكرها، أما الخلاصة فإننا نذكر الأحداث بإيجاز شديد دون ذكر تفاصيل هذه الأحداث ويكون زمن الكتابة أقل من زمن الحكاية².

وكمثال آخر سنقف على تلخيص ماضي شخصية رئيس البلدية " ومختار الدابة هو شيخ البلدية ورئيسها، بدأ حياته خضاراً متواضعاً ثم سائق لشاحنة خضر بائعاً للمواد الغذائية بالجملة ثم نشيطاً في حزب وممولاً رئيساً لفريق نجوم المدينة، ومقرباً من الإعلام ورجال الدولة، ثم مرشحاً للانتخابات البلدية³.

عمل الروائي على اختزال حياة (مختار الدابة)، الطويلة في سطور لا يتجاوز عددها الأربعة أسطر وقف فيها على أهم مراحل حياته، وكيف استطاع أن يصل إلى السلطة في وقت قصير، ومن جهة أخرى بين لنا كيف أن هذا الإنسان الغير مثقف استطاع الوصول إلى السياسة من خلال معاشرته لشخصيات مستبدة أمثال " عزيزة الجنرال " وغيرها.

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص30.

² - محمد أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة سندباد للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص177.

³ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص19.

ومن خلال هذين النموذجين نستطيع الكشف عن وجود مفارقة طبقية بين الفئة المثقفة والفئة الغير مثقفة، فالفئة المثقفة مثلتها شخصية " مراد لعور " وكانت نهايتها الهلاك في السجن، أما الأخرى الغير مثقفة إنتهت بالوصول إلى السلطة.

وقد استطاع السارد أن يستخدم تقنية التلخيص بجدارة حيث إختزل حياة كل منها في بضعة سطور، إذن " فالتلخيص هو السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود دون تفاصيل أعمال أو أقوال " ¹ بمعنى إختصار بعض الفقرات الزمنية الطويلة أو قصيرة المدى في كلمة أو جملة واحدة.

ب- الحذف:

يعتبر الحذف تقنية زمنية يعتمد عليها الروائي في بناء الفضاء النصي تاركاً المجال للقارئ في تؤول هذه المقاطع المحذوفة إستنداً إلى ما قبلها وبعدها وينقسم الحذف إلى قسمين:

1- الحذف المعلن:

هو " إعلان الفترة الزمنية المحذوفة على نحو صريح، سواء جاء ذلك في بداية الحذف كما هو شائع في الاستعمالات العادية، أو تأجلت الإشارة إلى تلك المدة إلى حين إستئناف السرد لمساره " ²

تجسد الحذف المعلن في رواية " الرماد الذي غسل الماء " من خلال النموذج التالي: " منذ ساعتين لم تمر سيارة واحدة في الشارع " ³ فقد حدد الروائي المدة الزمانية المحذوفة والتي قدرها ساعتين دون ذكر الأحداث التي وقعت فيها تجنباً لإعاقة حركة السرد.

¹ - جبرار جنييت، خطاب الحكاية، ص109.

² - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص159.

³ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص08.

وفي مثال آخر يذكر فيه السارد مدة " فتحة الطارتا " في السجن نتيجة اشتراكها في جريمة قتل والدها، حيث يقول: " ويحكم عليهن بالسجن عشرين سنة، تخرج " فتحة الطارتا " من السجن بعد عامين من ذلك مجنونة تتقاذفها الشوارع ويعبث بها الأطفال ¹.
أما النموذج التالي الذي وقع فيه الحوار بين " مختار الدابة " ونائبه " نصر الجان " " خمسون سنة عن الاستقلال بعضنا لم ينعم بخبراته ².

فالحذف المحدد هو " الذي يشير إليه الكاتب بعبارات موجزة جداً لحجم المدة المخصوصة على مستوى الحكاية كأن يقول: " بعد مرور سنتين " ³.
وفي ما سبق عمل السارد على تحديد المدة الزمنية التي تم حذفها من الأحداث وفي مقابل المحذوفات المحددة نجد محذوفات غير محددة، تفتقر إلى تحديد المدة الزمنية التي جرت فيها، وكمثال على ذلك قول السارد: " وقف زمنناً في مركز الشرطة " ⁴ عمل السارد على عدم تحديد الفترة الزمنية التي قضاها " كريم السامعي " في مركز الشرطة مشيراً إليها بعبارة دالة عليها " وقضى زمنناً ".

وفي مثال آخر ذكر أيضاً " وتتناقل بعض الألسنة أن " صالح الميقرى " قد كان عميلاً أثناء الثورة، وأن سبب هجرته التي كانت بعد خروج الاستعمار كانت خوفاً من الانتقام ليعود بعدها بسنوات فيتزوج لكنه ظل يعمل بفرنسا، وكون ثروة طائلة ⁵.

فالسارد هنا يختصر عدد السنوات التي قضاها " صالح الميقرى " في فرنسا ملتقياً بعبارة " بعد سنوات " فبقوله هذا ستبقى المدة التي أمضاها صالح الميقرى " غامضة، وبهذا يتحقق الحذف، وقد لجأ إليه السارد لعدم ذكر تفاصيل لا غرض منها.

¹ - المصدر السابق، ص16.

² - المصدر نفسه، ص76.

³ - منال عواد، مفلح العرفان: رسالة ماجستير " البنية السردية في أعمال هاشم غريبة الروائية إشراف خليل الشيخ - جامعة آل البيت - 2010/2011، ص79.

⁴ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص24.

⁵ - المصدر نفسه، ص33.

فالحذف الغير محدد: ينقل بنا السارد من فترة لأخرى دون أن يكلف نفسه عناء تحديد حجم المدة المتخطاة ¹ بغية تسريع وتيرة السرد.

2- الحذف الافتراضي:

" ويأتي في الدرجة الأخيرة، بعد الحذف الضمني ويشترك معه في عدم وجود قرائن واضحة على تعيين مكانه أو الزمان الذي يستغرقه، وكما يفهم من التسمية التي يطلقها عليه " جنيت " فليس هناك طريقة مؤكدة لمعرفة سوى إفتراض وصوله بالإستناد إلى ما قد نلاحظه من انقطاع في الاستمرار الزمني للقصة مثل السكوت عن أحداث فترة من المفترض أن الرواية تشملها ²

ولقد تجسد هذا الحذف في رواية " الرماد الذي غسل الماء " على شكل البياض الواقع بين السفر والآخر والصفحات التي يتركها الروائي فارغة وهذا كالصفحة (131) التي تفصل بين السفر الثالث والسفر الأخير، كما جاء الحذف الافتراضي عن طريق تلك النقاط التي وقعت في بداية السفر الأخير الصفحة (131) والهدف من هذا هو السكوت عن بعض الأحداث التي كانت في نظر الروائي السكوت عنها خيراً من الإفصاح بها.

ويمكن القول أن توظيف تقنية الحذف الافتراضي ما هو إلا لتجنب ركاكة التكرار أو لعدم أهمية هاته الأحداث المحذوفة والعمل على إثراء النص بعنصر التشويق، وفتح مجال التخيل والتأويل أمام القارئ.

ويمكن الإجمال " أن الحالة النموذجية للحذف الافتراضي هي تلك البياضات المطبعية التي تعقب إنتهاء الفصول فتوقف السرد مؤقتاً أي إلى حين استئناف القصة، من جديد لمسارها في الفصل الموالي ³ وهذه الحالة هي بمثابة الفاصل بين مشهد وآخر في بناء العمل الروائي.

¹ - منال عواد، مفلح العرقان، مصدر سابق، ص79.

² - حسن بحراوي، مرجع سابق، ص164.

³ - المرجع نفسه، ص164.

ثانياً: الفضاء:

يعتبر الفضاء ذلك الفضاء الذي تشكله اللغة من خلال قدرتها على الخروج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي المتعدد، وفي رواية " الرماد الذي غسل الماء " العديد من الأفضلية الدلالية نقف على أهمها:

1- الفضاء المغلق:

يتصف هذا الفضاء بلا حدودية بحيث أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدود كالبيت والغرفة.

1- البيت: عرفه غاستون باشلار (gaston bachelard) هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مراراً كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى ¹، ويعد واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار أفكار وأحلام وذكريات، وغالباً ما يكون مصدر راحة وأمن وطمأنينة، فيلعب دوراً كبيراً في الجانب النفسي للإنسان، وهو مكان تلنقي فيه العائلة والأحبة ومكان لإسترخاء ، ولم يعد هذا الهدوء والإستقرار في هذه الرواية إلا في مقطع واحد وهو " ماكاد كريم يلج البيت حتى إرتمت على صدره وقد سبقتها الدموع لتمنعها عن الكلام ووقف وهو يضمها إلى صدره يغالب تعباً قاهر" ².

فالبيت " مملكة الإنسان الذي يمارس فيه حياته، ووجوده ويشعر بذاته فيه " ³

أما الصورة الحقيقية التي إنعكست عن البيت هي الازعاج واللامبالاة فهو منزل خالٍ من الحب والأمان، قائم على الخصام بين أفراد الأسرة والشحناء والبغضاء وكنموذج على هذا ما قاله السارد: " لم يعد سالم بوطويل إلى فراشه ولم يغير حتى ثيابه، بل ولم يستطع

1 - غاستون باشلار، جماليات المكان، ص36.

2 - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص17.

3 - حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي، حجازي نموذجاً) جدار للكتاب العالمي، عمان. الأردن، ط1، 2006، ص97.

حتى أن يجلس، عشرات من الأسئلة كانت تدور في خلد، ويجب ان يطرحها على زوجته، ولكنه لم يكن ليتجراً... يعرف أنها قد تفور وتثور كالبركان وتقلب ليلهم كوابيس مزعجة¹. من خلال هذا النموذج يتضح لنا أن هذا البيت لم يعد ينعم بالاستقرار الذي يعد أساساً في نجاح العلاقات داخل الأسرة وبإعدامه تتعرض هذه العلاقات إلى خلخلة قد تؤدي إلى تفتت الأسرة، وإنعدام القيمة الحقيقية للحياة، وغالباً ما يؤثر هذا بصورة سلبية في بناء المجتمعات كما جرى في أحداث هذه الرواية التي تميزت بوحشية هذا المكان المقدس بعدما كان البيت " واحد من أهم تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية (...) فبدون البيت يصبح الإنسان كائنًا مفتتاً"².

2-1- الغرفة:

هي فضاء مغلق معزول بقصده الإنسان بغيت قضاء حاجاته الشخصية والانعزال عن المجتمع، والإسترخاء والنوم لكي يرتاح من تعب طوال النهار، كما ورد في متن الرواية " وقف كريم أمام غرفة فاتح اليحياوي المنعزلة في حوشهم الكبير. وقد غطى مدخلها أفياء شجرة تدلت كأذرع أخطبوط... والغرفة ضيقة يستعملها للنوم وإستقبال معارفه... ولا يكاد فاتح اليحياوي ينهي تدريسه بمعهد علم الاجتماع حتى ينعزل في غرفته لا يكاد يبرحها إلا للضرورة"³.

كما تعد الغرفة ملجئاً للإنزواء وإعادة التفكير واتخاذ القرارات الشخصية " وفي غرفتها لم تتم عزيزة رغم أنها قد أخذت حماماً دافئاً، وأنها لبست ثياب نومها، إلا أن النوم تمرد على جفنيها، وتنافرت حواسها جميعاً كأنها لأناسي مختلفين كل الاختلاف ... وكان ذهنها بعيد

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص14.

² - غاستون باشلار، مرجع سابق، ص38.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص13.

شريطاً ما وقع اليوم بالتفصيل الدقيق كأنها هي ترسم خطة خوض غمار معركة ضد جيش عسكري¹.

فالعُرفَة في هذه الرواية إنطبق عليها تعريف " ياسين النصير في قوله: يدخلها الإنسان فيخلع جزءاً من ملابسه، ويدخلها ليرتدي جزءاً آخر وعندما يألّفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما إطمأن تماسكها بدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي، والفكري، لكن عندما يخرج منها يعيد تماسكه، ويبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص²

3-1- المقبرة:

مكان مقدس بطبيعته، يؤول إليه الإنسان بعد موته، وهو مسكنه الدائم كبيراً كان أم صغيراً، غنياً أو فقيراً، كما أنه حيز شديد الانغلاق وضيق المساحة، يقصده الناس لترحم والصلاة على الأموات والدعاء لهم بالرحمة، غير أن هذه الرواية " الرماد الذي غسل الماء " أفقدت هذا المكان قيمته المقدسة وجعلت منه مكاناً مدنساً يلتقي فيه سكرى وشواذ، وبشر شبه أموات إنعدمت فيهم الإنسانية، فقد عم الفساد، كل مناهي مدينة " عين الرماد " بدءاً بالطبقة السياسية ليتسلل الفساد إلى المجتمعات ولم يرحموا حتى الأموات حيث السارد يقول: " تقع مقبرة السكرى كما يطلق عليها السكان أعلى مدينة عين الرماد قريباً من الغابة، أحاطها الفرنسيون أيام تواجدهم بعناية فائقة حيث كان يمثل سورها تحفة رائعة، وتمثل هندسة قبورها وما زرع فيها من أشجار وأزهار، لوحة لأبداع الإنسان والطبيعة، ومثلت القبور الرخامية تحفاً مختلفة الأشكال والألوان، وماكادت فرنسا تتسحب بعساكرها حتى بدأ الهجوم على المقابر، فسلب شباكها هدم سورها ونشت قبورها، وتحولت صحراء قاحلة تحضن السكان والشواذ³.

¹ - المصدر السابق، ص 08.

² - ياسين النصير، الرواية والمكان (2)، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، د ط، ص 78.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص 11.

فالمقبرة: " إسم يقشعر له البدن رغم أنها تحمل في جوفها أناس عايشناهم دون خوف منهم، فهي تعتبر المأوى الأخير للإنسان وإذا يتحدد فيها مصيره حسب عمله في الدنيا إما النعيم أو العذاب"¹

4-1- ملهى الحمراء:

فضاء مغلق مدنس، وهو رمز الفساد والانحراف عن القيم الأخلاقية والدينية، فهو عنصر مساعد في انتشار الرذيلة في المجتمع وقد تطابقة مكانته في الرواية مع ما هو عليه في الواقع، كان له حضور قوي في الرواية، أو بصيغة أخرى الفضاء الأساسي لمجرى الأحداث. " يقع ملهى الحمراء في جوف الغابة، تحضنه أشجار الصنوبر والفلين من كل حذب وصوب كقلب محاطاً بالأضلاع... كان زمن الإستعمار بيتاً لحاكم المدينة... وما بعد الاستقلال مركزاً لبحوث الزراعة... وتنازلت عنه الدولة لجنرال متقاعد ليحوّله إلى ملهى يؤمه كبراء القوم وساداتهم. ولا يدري الناس لماذا سماه جنرال بهذا الإسم؟ أنسبه للون الجدران الخارجية الأجر؟ أم للون الخمرة وحمرة لياليها؟ "².

كما كان يتوافد عليه معظم الشخصيات المهمة في السلطة منهم فواز بوطويل مرتكب الجريمة، ولعلوعة الراقصة، والجنرال، وبهذا بعكس هذا الملهى مدى الفساد الذي وصلت إليه مدينة " عين الرماد " من انحلال وخروج عز الدين ومبادئ الأخلاق في شتى المجالات. وأهم ما يتميز به الملهى أنه " مكان يعبر عن الراحة والمشاكل النفسية والحريات الشخصية لدى الكثيرين، وهو أيضاً مكان للشرب والهروب الكلي من الواقع المعاش ويذهب إليها الإنسان للإدمان على المشروب لإفراط كل ما يجول في خاطره من آلام وأحزان "³.

¹ - فيروز جدي، وفاء حطابي، البنية السردية في رواية طوق الياسمين " رسائل في الشوق والصبابة والعشق المستحيل " للروائي واسيني الأعرج. اشراف رشيد وقاص، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2016-2017، ص48.

² - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص55.

³ - فيروز جدي، وفاء حطابي، مرجع سابق، ص48.

5-1- السجن:

يعد السجن من الأماكن التي تطبق فيها العدالة، وهو من الأماكن المغلقة " التي تحبس فيه حريات الناس بغض النظر عن أصنافهم وأسباب حبس حرياتهم، فهو مكان له حدود، وحواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتخطيم هذه الحدود ¹ فهو مكان يعتبر رمزاً للنفي والعزلة، يعرفه عبد الحميد بورايو بأنه: " أشد الأمكنة سلباً للحرية فهو يتميز بالإنغلاق وتحديد حرية الحركة وهو مصدر المرارة والألم التي تتضح مشاعر الشخصيات التي توجد داخله ²، فعادةً ينعكس على الإنسان بالضرر النفسي، وفي حالات عديدة ينعكس بالنفعية والتحسن من الناحية الأخلاقية وغيرها.

وفي هذه الرواية إنعكس السجن على " فتحة الطارتا " بالضرر النفسي حيث دخلت السجن نتيجة اشتراكها في جريمة قتل والدها، حيث يقول السارد: " يحال الجميع للمحكمة، ويحكم عليهن بالسجن عشرين سنة، تخرج فتحة بعد عامين من ذلك مجنونة تتقاذفها الشوارع، ويعبث بها الأطفال ³. كما أنه يؤثر على شخصية فاتح اليحياوي لأنها شخصية مثقفة تدرك الواقع المر المعاش وهذا ما يدل عليه النموذج الآتي: " لم يزعج فاتح اليحياوي دخوله السجن... كثيراً من الشرفاء زج بهم فيه، ومازالوا يزجون، لكن ماحز في نفسه أن تتفض الجموع الغفيرة التي تجمع على أن: عزيز بوطويل " ثعبان عاش في مدينة عين الرماد فساداً... بل ووصل الحد ببعضهم أن شهدوا ضده زوراً وبهتاناً... حينما خرج من السجن أعلن أنه على فلسفة أبي العلاء المعري ⁴ بذلك أدرك فاتح اليحياوي أن أهل مدينة عين الرماد قضى عليهم الفساد بالذل والهوان ولا مجال لإصلاحهم، وذلك ما جعله يحمل همومهم وأحزانهم غير مبالي بالسجن، فالسجن " فضاء مغلقاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، سواء تعلق الأمر به كفضاء جغرافي محاط بحواجز محكمة من كل الجهات،

¹ - حنان محمد موسى حمودة، مرجع سابق، ص100.

² - عبد الحميد بورايو، المكان والزمان في الرواية الجزائرية، مجلة المجاهد، الجزائر، ع1392، 1987، ص65.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص16.

⁴ - المصدر نفسه، ص16.

تمنع السجين من الخروج منه، فهو مكان إجباري يجرد الإنسان من أبسط حقوقه، يقتل قيم الراحة والطمأنينة، ويحل محلها الشعور بالخوف والضياع والعجز فهو يعبر عن الظلم والقهر والاستبداد¹.

1- الفضاء المفتوح:

يعرف الفضاء المفتوح على أنه مكان خارجي لا تحدده حدود ضعيفة، يمثل الانفتاح على العالم الخارجي وتعدد الشخصيات والأحداث مما ينتج عنها تفاعل في المجتمع، ويشمل الساحات، والحدائق وغيرها...

وقد تجسد الفضاء المفتوح في الرواية في:

1-2- المقهى:

يعتبر المقهى من الأماكن الاجتماعية، وهو في " التجمعات الرجالية، تصبح المقهى المكان الذي يتزاور فيه الناس خارج نطاق الأسرة"²، فهو مكان تلتقي فيه مختلف طبقات المجتمع حيث يمثل نموذج مصغراً عن المجتمع، وفي رواية " الرماد الذي غسل الماء " تغير دلالاته من مكان للترفيه إلى مكان سلبي بكل معنى الكلمة إنه يعادل حياة التشرد والضياع والانحراف وهو ما يدل عليه النموذج التالي " خرج سمير المرنيستي من زقاقهم المقرف وعاوده الهدوء وهو يتجه صوب المقهى العتيقة الذي عشعشت حوله المقاهي الحديثة... تجاوز " فتحة الطارتا" وقد تكورت على نفسها تغط في نوم عميق غير مبالية بالراوئ وغير مبالية بساقيها الموردين المكشوفتين. . . وقف عند الباب يتفرس في الوجوه الغارقة في بحر القمار، وقد علتها سحب لدخان شباب وكهول وشيوخ... معلمون متقاعدون وخمارون، وخرجي السجون"³.

¹ - ينظر: سعاد مشلق: جماليات المكان في رواية " رحمة " لنجاة مزهود. اشراف رضاء معرف، جامعة محمد خيضر

بسكرة. 2015. 2016م، ص37.

² - ياسين النصير، مرجع سابق، ص45.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص27.

و" تتحقق الوظيفة الأصلية لهذا الفضاء من حيث هو مكان لتصريف الفراغ، وإمداد الفرد بمزيد من قوة الإحتمال لمواجهة رتابة الحياة اليومية"¹

2-2- الغابة:

هي مكان مفتوح، وقد مثلت المحور الأساسي لمجرى أحداث الرواية في مسرح للجريمة الشنعاء التي قام بها " فواز بوطويل " في حق " عزوز المريني " والتي تشكل نقطة انطلاق أحداث هذه الرواية حيث يقول السارد: " كان الطريق مقفر وموحشاً، لم تستطع الأضواء الكاشفة أن تهتك وجبة الكثيفة... دار يميناً لتشق به طريق الغابة الصغيرة... وأحس جسداً يقطع الطريق، والغابة تكاد تنهزم... ضغط على المكبح... صدمه ... سقط بعيداً... انحرفت السيارة وارتطمت مقدمتها بآخر شجرة معزولة في الغابة "².

تحولت الغابة من مكانتها المقدسة إلى مكان مدنس تنتشر على جرائم وممارسي الأفعال المشينة المخلة بالحياء والبعيدة كل البعد عن الجانب الديني الأخلاقي، وظهر هذا في النموذج التالي: " ترجلا من سيارة التاكسي وراحا يتوغلان في نزلاء هذا المكان خصيصاً لنشاطهم... دخان الشواء، عشرات الشباب والكهول... نساء ورجالا تفرقوا في السيارات وتحت الأشجار يعاقرون زجاجات خصرهم ترتفع صيحاتهم وقهقهاتهم، مظاهر مجون وخلاعة تهتك حرمة كل حشمة"³.

باعتبار الغابة العنصر المحرك لأحداث هذا المتن الروائي نقد ساد قانون الغاب على شخصيات الرواية حيث أصبح القوي يأكل الضعيف والغني يظلم الفقير، وأصحاب السلطة والنفوذ طغوا على الطبقة الكادحة في مدينة " عين الرماد ".

¹ - حسين بحرواي، بنية الشكل الروائي، ص92.

² - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص07.

³ - المصدر نفسه، ص59.

3-2- الحديقة:

تعد الحديقة من الأمكنة المفتوحة، ويرتادها الناس لتمضية وقت الإستراحة، والتمتع بأشجارها وأزهارها وحشائشها الخضراء والركون في الهدوء النفسي والراحة¹، وهي رمزاً للحضارة والسكينة والانفتاح، يقصدها الناس لترويح النفس، والاستجمام والتأمل في جمال الطبيعة حيث يشعر روادها بالطمأنينة والأنس في أجواءها الاجتماعية السعيدة وفي وصفه للحديقة يقول: " وحديقة الأمير التي تتوسط المدينة كانت تحفتها وعروسه... تقذف بإبتسامتها في أوجه الزوار... وتتوغل فيها المهارات الإسفلتية والحجرية التي تتأثر عليها كراس حديدية مزخرفة هنا وهناك... ووقفت في كل زاوية منها أعمدة، وتماثيل رومانية تذكر الجميع بالحضارات والشعوب التي مرت على المدينة... فلم يمضي إلا عقدان أو أكثر حتى إنتهجها شجع البطون الكبيرة، لتتقلص أمتار أمام زحف الأسمنت المسلح الذي كومه حشوش و" عزيزة" من كل جانب²، وكغيرها من الأمكنة التي تجردت من صورتها الحقيقية إلى صورة معاكسة تحتضن شتى الانحرافات السلوكية والآخلاقية فهي مسرح حادثة إغتصاب " فتحة الطارئة"، وكمثال على هذا الفساد الذي إنتشر في الحقائق حيث يقول الروائي: " أنه لم يعد لنا مبرر للبقاء، الحقائق أصبحت مرتعاً للشباب الفار من شبح البطالة إلى التسكع والتهور³

فلقد أصبحت مكاناً لانتشار الفساد والرذيلة والأخلاق المخلة بالحياة بعد أن كانت " مكان ألفة محبة ومسلية، يلجأ إليها الناس ويتعارفون فيها أو يلجأ إليها الإنسان مستذكراً ذكرياته المفرحة أو المحزنة⁴

¹ - حنان أمزيان، سمية بركان، جماليات تشكيل المكان في رواية " الرماد الذي غسل الماء"، إشراف بلقاسم دكنوك

جامعة العربي بن مهيدي. أم البواقي، 2016-2017، ص113.

² - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص59.

³ - المصدر نفسه، ص60.

⁴ - محبوبة محمدي، محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوازتية دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق، ط1، 2011، ص53.

4-2- مركز الشرطة:

هو مكان يقصده الإنسان من أجل تقديم شكوى ضد إنسان ظالم، أو التبليغ عن جريمة ما طالباً لتحقيق العدالة " أوقف كريم السامعي سيارته الرمادية أمام مركز الشرطة، وتنفس بعمق كأنما أحس بالنجاة من كارثة خطيرة... كان شرطياً يقف أمامه مستعداً لإشهار شاشة، وأسرع كريم السامعي يشرح له الأمر: جئت لأبلغ عن جثة رأيتها على قارعة الطريق ¹". ويقصد هذا المكان من أجل التحقيق في أمر مشتببه فيه والكشف عن الحقيقة " إندفع كريم يشرح الأمر منذ خروجه من مزرعته تاركاً أباه خليفة السامعي ... حتى رأته الجثة ملقاة في قارعة الطريق وتأكدته من موتها. وما كاد الضابط يكمل كتابة المحضر ويطلب من كريم التوقيع عليه حتى أسرع يطلب من رجاله الإعداد للانتقال إلى المكان ²".

" يتواتر توظيف هذا المكان في الروايات المختارة وبعد مكان ضغطاً على الشخصية، تمارس فيه الشرطة الحاكمة عنفها وتعسفها ومن ثم فهو مكان مكمل للسجن، أو هو العتبة التي تلج من خلالها الشخصية عالم السجن ³".

ثالثاً: الشخصية:

تعد الشخصية الروائية مكون هام في الخطاب السردية، فلا يمكن تصور أي متن روائي دون وجود شخصيات: فهي " التي تخلق ضمن الفضاء الروائي لها سماتها وطموحاتها آلامها وأحزانها وفكرها، ⁴ فهي بمثابة العمود الفقري الذي تبنى عليه قوام العمل الأدبي وبدورها الفعال تساعد على استيعاب بنية النص الروائي، وفي تحديد مكوناته. ومن خلال

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص 06.

² - مصدر نفسه، ص 06.

³ - جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج. اشراف صالح مفقودة، جامعة خيضر بسكرة 2012.

2013، ص 198.

⁴ - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص 12.

دراستنا لشخصيات رواية " الرماد الذي غسل الماء " عمدنا أن نقسم شخصياتها إلى رئيسية وأخرى ثانوية، كل واحدة حسب دورها في النص.

1- الشخصيات الرئيسية:

1-1- عزيزة الجنرال:

أحد الشخصيات الرئيسة البارزة في رواية " الرماد الذي غسل الماء " وهي إسم على مسمى فهي تتصف بكل معاني إسمها من العزة والقوة، وألحق الناس اسمها بلقب رتبة عسكرية الجنرال " لقوتها وعلاقتها بالجنرال صاحب ملهى الحمراء ... ¹ وهذا اللقب يحمل العديد من معاني السلطة والجبروت " وصلت عزيزة فرفرفت حولها القلوب... وجلست في صدر الدار ... وعجلت العطرة تقدم إليها ما لذ وطاب من المأكّل والمشرب، وتكاد تقدم لها قلبها وعينيها وحتى روحها... وزاد ذلك عزيزة غروراً فانفتحت في مكانها على الأريكة الجميلة وراحت تمارس سيادتها وتلقي بأوامرها، وتجذ اللذة الكبرى وهي ترى الجميع خدماً ملبيين². وقد تلاءمت هذه الشخصية مع لقب " الجنرال " حيث اجتمعت فيها كل الشرور والقساوة ويرجع هذا إلى ماضيها الأليم الذي عاشته أيام طفولتها مع أب قاس فبعد أن " فقدت عزيزة أمها في مأساة رهيبة، حين تجرأ أبوها فقتلها شر قتله وهو تحت تأثير الخمرة وفقدت أباهما حين زجَّ به في السجن حين فارق الحياة... توزعتها الدور هنا وهناك، ولسعتها نظرات الكره والرفض³، وما عاشته من ظلم في طفولتها ترسب في ذاكرتها وانعكس سلماً على حاضرها فهي تكن الكره لكل الرجال. فحادثت مقتل أمها أثرت على نفسياتها وولدت فيها رغبة شديدة في الإنتقام من كل الرجال، وانتهى المطاف بهذه الشخصية أن أختفت في ظروف غامضة غموض الشخصية الدورية " فهي شخصية مغلقة لا نستطيع إيجازها بعبارة

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص37.

² - المصدر نفسه، ص109.

³ - المصدر نفسه ، ص22.

واحدة ولا يمكن اختزالها بجملة أو سلوك في الرواية بل تتعاضد وتعمل مظهراً¹ عديدة بغية تحقيق مبتغاها ومصالحتها الشخصية.

2-1- سالم بوطويل:

هو زوج عزيزة الجنرال، لعب دور شخصية الزوج المغلوب على أمره فلا دور له في تسيير شؤون الأسرة، فقد مارست عليه زوجته أسلوب التسلط وهذا ما تسبب في غياب الحب في علاقتهم الزوجية " حين وصلت قرب مصحة الشفاء توقفت فجأة وطلبت من زوجها أن ينزل وأن يأتيها من الجهة الأخرى ولم يشأ سالم أن يناقش لأنه يعرف تصرفاتها الحمقى فأسرع بتنفيذ المطلوب ولما وقف أمامها كالتلميذ الطائع، طلبت منه أن يتصل بالطبيب فيصل، وينتظرها حتى تعود ليذهب معها من أجل معاينة فواز"²، فمن خلال هذا المثال يظهر ضعف شخصية سالم بوطويل أمام هيمنة وصرامة زوجته عزيزة الجنرال، ففي كل مرة ينفرد فيها مع نفسه يتحصر على شبابه، وحب لذهبية " لماذا بنت الطاهر وكانت رفيقة صباه؟ ورفيقة أيام الدراسة لماذا لم يتجراً أو يصيح في وجه الجميع أني أحبها؟ ولا أريد غيرها؟... هل هو قدر الله؟ أم هي غيباتنا ننسبها زوراً وبهتاناً إلى الله؟"³. فهو لم ينل ما أراد، إنما خضع لمشية الله.

وشخصية سالم بوطويل " سطحية بسيطة لها بعد واحد فحسب، وسمات قليلة، يمكن التنبؤ بسلوكها"⁴.

3-1- فواز بوطويل:

مرتكب جريمة القتل التي راح ضحيتها (عزوز المريني) وهي الحدث الرئيسي لبداية أحداث الرواية، ابن " سالم " و " عزيزة الجنرال "، كان " في الخامسة والثلاثين من عمره... معتدل القامة، بهي الطلعة، أنيق اللباس... يعيش في أسرة ميسورة الحال... تملك مزارع

¹ - فورستور، أركان الرواية، تر. موسى عاصي، ط1، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1994م، ص55.

² - عز الدين جلاوي، ص04.

³ - المصدر نفسه، ص07.

⁴ - جيرالد برنس، مرجع سابق، ص42.

شاسعة... فشل في الباكالوريا ثلاثة مرات... يقضي معظم وقته في مخالطة أبناء الأثرياء من الجنسين ... يميل إلى معاقرة الملمات وعلى رأسها الخمرة. . .¹ مدلل من ظرف أمه التي تسيطر على الأسرة بشخصية فولاذية، وقد قام بجريمة القتل وهو في حالة سكر " بدأت الخمرة تسدل ستائرهما على عينيه "² فقد كان في حالة لا تسمح له بقيادة السيارة إلا أنه فعل ذلك والنتيجة كانت وقوع كارثة، حيث " أحس جسدا بقطع الطريق والغابة تكاد تنهزم ضغط على المكبح . . صدمه. . سقط بعيدا. . انحرقت السيارة... نزل من السيارة ... فجأة اندفع يعدو هائجا باتجاه الجسد الممد بعيدا... وصل إليه... حمل هراوة وعاد حيث الجسد مسجى يئن وراح يضربه على رأسه حتى هدأت حركته "³.

فهذه الشخصية هي " العنصر الهادي الذي يسمح ينمو وتطور الرواية وهي المفتاح لبداية الرواية ونهايتها "⁴. أي هي بمثابة نقطة انطلاق الأحداث.

4-1- كريم السامعي:

هو من إحدى الشخصيات المثقفة التي كان لها حضور قوي في الرواية، أبوه خليفة السامعي، انعزل عن المجتمع تاركاً مجال الثقافة إلا أنها تبقى شخصية مثقفة تهوى العلم والعلوم حيث تعتبر " الهواية من أهم المؤثرات الاجتماعية في سلوك وتصرفات الشخصية ومن الحقائق التي لا سبيل لإنكارها "⁵. فبعد تركه للثقافة عمل مزارعاً وعاش مع عائلته في جو تسوده الراحة والطمأنينة.

لعبت شخصية كريم السامعي دور الشاهد الوحيد على وجود الجثة هذه الحادثة التي غيرت مجرى حياته، وهذا المثال يدل على ذلك " أوقف سيارته يمينا ثم استدار بها ...

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص30، 31.

² - المصدر نفسه، ص03.

³ - نفسه، ص03، 04.

⁴ - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص11.

⁵ - عبد الوهاب شكري، النص المسرحي، دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية، المكتب الحديث، الاسكندرية،

1997، ص106.

ليقطع ميلا بالتقريب وعند الهاجس أوقف سيارته وترجل ... وصدق ظنه كان ما رأى جثة شاب ملتوي الرجلين مهشم الرأس ينكفى على وجهه كأنه يحاول الفرار من الموت ¹. وخوفاً من تأنيب الضمير ورغبة في كشف الحقيقة، قرر الذهاب إلى مركز الشرطة والإبلاغ على ما رأى في الوقت الذي كان بإمكانه إخفاء ما شاهد وإبعاد أوجه الشبهات عنه " وأسرع كريم السامعي يشرح الأمر: جئت لأبلغ عن جثة رأيتها على قارعة الطريق ² ورغم تبليغه عن وقوع هذه الجريمة إلا أن أصابع الاتهام وجهت له، وجالت كل الشكوك حوله " السر في أمرين لا ثالث لهما، إما أن كريم السامعي هو القاتل ثم أخفى الجثة في مكان ما، وجاء ليموه علينا، وإما أن القاتل إرهابي حمله رفاقه إلى حيث لا ندري ³. فبسبب هذه الجريمة تشتت حياته وانقلبت رأساً على عقب فقد كثرت زيارات الشرطة إلى بيته وهذا ما جعل كل أفراد العائلة يعيشون حالة توتر، تقول أخته بدرة: " أوقعونا في حرج أمام الناس، كل الجيران والمارة تكتلوا قريباً من البيت... وفشوا كل الغرف حتى مسكن الشيخ الوالد لماذا نفتش كأننا مجرمين؟ ⁴ أنتهى الأمر بهذه الشخصية أن زجَّ بها في السجن ظلاماً عشرين سنة جرّاء قيام عزيزة الجنرال بإخفاء الأدوات المستعملة في الجريمة والتي عليها دم الضحية في مزرعة كريم السامعي بغية إبعاد أصابع الاتهام عن ابنها فواز.

فهذه الشخصية قامت بدور أساسي في تحريك سيرورة الأحداث كما يقول محمد غنيمي هلال: " إن الشخصية تؤدي دوراً مهماً في تحريك وإنجاز الأحداث من خلال أقوالها وأفعالها ⁵. وهذا تمثل في كون هذه الشخصية الشاهد الوحيد لوجود الجثة والإبلاغ عن الجريمة.

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص 06.

² - المصدر نفسه، ص 07.

³ - المصدر نفسه، ص 14.

⁴ - المصدر نفسه، ص 34.

⁵ - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والمشر والتوزيع 2004، ص 60.

5-1- عزوز المريني:

لعبت هذه الشخصية دور الضحية التي ارتكبت جريمة قتل شنعاء في حقها واكتملت بإخفاء الجثة لطمس الحقيقة وتظليل العدالة. فهي الشخصية المسطحة التي " يكون خطها في الرواية لا يحفل بالمفاجأة والإثارة والنمو، ولا تركب مركب التغيير "¹ أي أنها لا تتغير طوال السرد الروائي.

وعزوز المريني هو ابن سليمة المريني " لم يذق طعماً للسعادة في الحياة، لقد ولد قبل الألوان، وعاش طفولته يعاني من نقص التغذية، ودخل المدرسة سنواته الأولى، ثم غادرها ناقماً إلى غير رجعة ليتشرد مع عمار كرموسة، ولتستغل براءتهما في العمل، ثم في بيع السجائر، ثم في الترويج للمخدرات، ... وهو يشبه أباه نحافة وطولاً ويأساً دائماً دائماً على تضريس الوجه ... وسجائر يمتصها حدّ التقديس والعبادة... ثم بدأت حياته تتحسن منذ عرف الزربوط وتقرب منه فصار واسطته في توزيع المخدرات والترويج لها "². فلقد عاش مهماً من كل النواحي، وتوفى في عز شبابه إثر حادث سير قام به " فواز بوطويل " وهو في حالة سكر.

2- الشخصيات الثانوية:

1-2- فاتح اليحياوي:

هو ابن خالة كريم السامعي كانا يعيشان في نفس البيت، فقد قضيا الطفولة معاً لا يفترقان ليلاً ونهاراً، وقد كان يميل إلى دراية علم الاجتماع والأدب والفلسفة، " ولا يكاد فاتح اليحياوي ينهي تدريسه بمعهد الاجتماع حتى ينعزل في غرفته لا يكاد يبرحها إلاً للضرورة "³ فلقد كان يفضل العزلة وكان " فاتح اليحياوي أكثر الشباب حماسة وأكثرهم ثورة على كل

¹ - عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية " دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، ص144.

² - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص40.

³ - المصدر نفسه، ص69.

مظاهر الانحراف الاجتماعي والسياسي¹ وكان يؤيد الحق أينما كان ويبطل الباطل حتى على حساب أموره الشخصية، فقد زجَّ به في السجن بسبب شبهات لأنه شهد مع بعض المتضررين الذين استولت عزيزة الجنرال على أراضيهم " فلم يزعج فاتح اليحياوي دخوله السجن ... كثير من الشرفاء زجَّ بهم في السجن، ومازالوا يزجون² وهو أهم الشخصيات المثقفة في هذه الرواية التي " تمثل طبقة إجتماعية بكل خصائصها المادية، والمعنوية وتطلعاتها الطبقية وتقاليدها، ومنهجها في الحياة فهي نموذج تصدق على أفراد كثيرين يمثلون طبقة بكل ما تحمله من قيم واتجاهات³ .

ولقد حاول إخراج سكان مدينة عين الرماد من الفساد والظلم الذي طغى عليهم إلى النور. " لأنه كان يرى أن سكان عين الرماد هم ضحية مؤامرة بين من يملكون الديار ويملكون القانون ...⁴

فقد أصبح رهينة ثقافته وكتبته التي جعلته يبتعد عن كل شئ في هذه الدنيا " ظل يرفض الزواج مخيباً آمال والديه تاركا الفرصة لأخوته الأقل منه، مؤكدا مقولة أمه: فاتح تزوج الكتب⁵ .

سعى جاهداً لإنقاذ المجتمع من بطش وسلطة عزيزة الجنرال فتصدت له وبقيت خلفه حتى أزاحته عن طريقها، فلقد أثر هذا التصدي سلبياً على حياة فاتح اليحياوي ليتغير من إنسان حيوي نشيط إلى إنسان منعزل ومنفرد. فقد شاركت هذه الشخصية الثانوية في " في نمو الحدث وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث، ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمة من وظيفة الشخصية الرئيسية⁶ "

¹ - المصدر السابق، ص20.

² - المصدر نفسه، ص21.

³ - عبد الفتاح، المرجع السابق، ص122.

⁴ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص38.

⁵ - المصدر نفسه، ص18.

⁶ - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة دار القصة للنشر، دط، 2009، ص45.

2-2- مختار الدابة:

أحد الشخصيات الثانوية في المتن الروائي، مثل اليد اليمنى لعزيزة الجنرال " فطبيعة النص الروائي تفرض شخصيات تقوم بدور رئيسي في إنجاز الأحداث ويطلق على الشخصيات الرئيسية وشخصيات تقوم بدور ثانوي يطلق عليها الشخصيات الثانوية ¹.

ولقد " لقب مختار بالدابة مذ كان تلميذا في المدرسة لقد كان المعلم يصفه بذلك لسوء سلوكه مع زملائه الذين لطالما إشتكو من غلضته في المعاملة ². ترأس بلدية عين الرماد بالرغم من جهله " بدأ حياته حضاراً متواضعاً بائعاً للمواد الغذائي بالجملة، ثم نشيطاً في الحزب وممولاً رئيسياً لفريق نجوم المدينة، مقرباً من الإعلام ورجال الدولة ثم مرشحاً للانتخابات البلدية ³. تربع على كرسي رئاسة البلدية على الرغم من إنعدام كل المؤهلات والصفات التي منها المؤهل العلمي الثقافي ذلك بمساعدة عزيزة الجنرال " فالجميع يعلم أنها وراء وصول مختار الدابة ونصير الجان إلى كرسي البلدية لتسهيل على نفسها تحقيق ما تريده ⁴. وفرض سيطرتها على سكان مدينة عين الرماد واستيلاءها على الأراضي والممتلكات العمومية فلقد مثل مختار الدابة الشخصية الإنتهازية التي بالرغم من جهلها استطاعت الوصول إلى السلطة عن طريق أصحاب النفوذ (عزيزة الجنرال) فقد لعبت " دوراً هاماً في بعث الحركة والحيوية داخل البناء الروائي فهي الشخصية الخادمة للشخصية الرئيسية ⁵ (عزيزة الجنرال) الشخصية المسيطرة في الرواية.

3-2- بدرة السامعي:

هي ابنة الشيخ عبد الله وأخت كريم السامعي، كانت تعيش في جو عائلي يعمه الهدوء، الطمأنينة، تتحدر من أسرة مثقفة " ذات نفس حساسة جداً، لا تحسن التوسط في العواطف،

¹ - حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 51، 52.

² - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص 19.

³ - المصدر نفسه، ص 19.

⁴ - المصدر نفسه، ص 37.

⁵ - محمد بوعزة، مرجع سابق، ص 57، 58.

فهي إما أن تعطي كل شيء أو تمنع كل شيء ... كانت ترفض أن تكون كالشمس تختفي لتستمر على صفحة القمر ... كانت تقول دائماً أنا كالنحلة قد أُنحك العسل ولكنني قد أُنحك السم ولو كان في ذلك موتي ¹. والسبب فقدانها لنبع الحنان، والدتها التي فارقة الحياة ليقوم أبوها بدور الأم والأب معاً، " فكلما تذكرت بدرة أمها ارتسمت أمامها سريعاً تلك اللحظات الأخيرة وقد أكملت لها تسريح شعرها، ثم قامت من مكانها لتتهاوى فيه بسرعة، وما كاد الجميع يهرعون إليها حتى صارت جثة هامدة ²."

بدرة السامعي لعبت دور الشخصية المساعدة التي " تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له. وغالباً ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكى ³."

4-2- الضابط سعدون:

تعتبر شخصية الضابط سعدوني شخصية بوليسية ترمز إلى السلطة وتحقيق العدالة، هدفها البحث والكشف الحقيقي وإزالة التفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، حيث " كان سعدون طالباً على مقاعد الدراسة كان يحلم بدولة الحق والعدالة، دولة المساواة بين الأمير والرعية بين الفقير والغني، ولذلك إختار الشرطة ليملك الوسيلة لإقامة العدل بين القوي والضعيف، كان يقرأ عن أبي ذرو وأبي بكر وابن العزيز ويهتز للمثالية العالية ويحلم بها مجسدة في الواقع وقرأ لأفلاطون والفرايبي وماركس ⁴."

كما تعكس هذه التسمية التي أطلقها الروائي على هاته الشخصية (الضابط سعدون) مدى الإنضباط والالتزام اللذان اتصف بهما، أما العامل الذي دفع بسعدون إلى إمتحان هذه المهنة هو ما عاناه في طفولته فلقد " عانى سعدون من ظلم المجتمع، ومن التفاوت الطبقي وهو صغير، فكم افتقد لحذاء يقي أصابعه الصغيرة برودة الأمطار، ولحساء دافئ يلوك به

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص113.

² - المصدر نفسه، ص75.

³ - محمد بوعزة، مرجع سابق، ص57.

⁴ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص40.

الجنز الجاف ... وكم افتقد كراساً أو كتاباً ... وكم تحمل ذلك ...¹ فكل هاته الظروف دفعت به إلى الإصرار في الإلتحاق بصفوف الجيش حتى يكون ضابطاً يسعى إلى تحقيق المساواة ونشر الأمن والسلام لكي لا يعاني الناس ممّا عاناه في صغره.

كان يعمل بضمير حي يبحث عن الحقيقة ليظهر الحق ويبطل الباطل، وهذه الشخصية عملت عللاً لإضاءة " الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون إما عوامل كشف الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها، وإما تتبع لها، تدور في فلكها وتتطرق بإسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها². فقد قام سعدون يكشف خفايا عزيزة الجنرال ووضع حدّاً لخبثها وسلطانها الفاسدة.

5-2- لعلوعة:

هي راقصة ملهى الحمراء الذي يقع بمدينة عين الرماد، مجهولة الهوية " فلا أحد يدري بالضبط من جاءت لعلوعة، ولم يكلف حد نفسه طرح هذا السؤال³. سحرت قلوب وعقول كل من دخل ملهى الحمراء، وشغلت مجالس سكان عين الرماد وصارت لعلوعة حديث الناس والقصور والجرائد والقنوات، وصارت لعلوعة الراقصة محج الولاة والوزراء والجنرالات والأثريّة، وتحدث عنها مسؤول كبير قائلاً: " لقد رفعت راية الوطن في دول العالم. . . وقبّل ممثل الثقافة جبينها⁴. فلقد أصبحت شخصية معروفة بالرغم من المستتق الذي تعيش فيه. لعبت هذه الشخصية دور الشخصية " السكونية التي لا تتغير طوال السرد⁵ فهي ثابتة على مسار السرد الروائي.

¹ - المصدر السابق، ص40.

² - صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني . جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، عمان، ط1، 2006، ص132.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص05.

⁴ - المصدر نفسه، ص05.

⁵ - محمد عزام، شعرية الخطاب السردية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص13.

6-2- سليمة المريني:

لقد وقعت مفارقة في اسمية هذه الشخصية (سليمة المريني) فإسم سليمة يوحي بالصحة والسلامة، ولكن هذه المعاني لم تتحقق في هذه الشخصية، فحياتها كانت بائسة بحيث كانت تعيش في معاناة مع الفقر والمرض، " كانت سليمة المريني في البلدية تغالب آلاماً مبرحة تقطع كل جسدها المثخن بالأمراض والجراح ... السكري ... وإرتفاع الضغط ودوالي الساقين ... وبطالة رب الأسرة وأولاده... واختفاء ابنها عزوز " ¹. وعلى الرغم من كل هذا كانت سليمة المريني تصارع الحياة وترفض أن يمس كبريائها أو شرفها فقد كانت " تتعرض للتحرش الجنسي، من قبل الموظفين، ومن قبل شيوخ البلدية خاصة ... في سواد عينيها الكبيرتين، وفي ألق ملامح وجهها الأسمر ... وفي استلاء جسدها...وفي رخامة صوتها فتنة لا تقاوم، ولكنها أبدا ظلت كبرياء يرفض أن يُدنس... وظلت إعصاراً من الرفض الصامت " ².

تعتبر هذه الشخصية نموذج ورمز للمرأة المكافحة قَدَمها الروائي " من خلال وصف أحوالها وعواطفها وأفكارها بحيث يحدد ملامحها العامة، ويقدم أفعالها بأسلوب الحكاية، ويعلق على الأحداث ويحللها " ³. فقد تحدّثت هذه الشخصية كل ظروف الحياة من أجل لقمة العيش.

7-2- عمّار كرموسة:

شخصية شعبية من أكبر مروجي المخدرات والمتاجرين بها لا يعرف للثقافة عنوان وهو " شاب في السابعة والثلاثين من عمره، قصير القامة، بدين الجسم، يملأ الوشم كثيراً من أنحاء جسده، نشأ يتيم الأب في أسرة منعمة تسكن الأحياء القصديرية، تسرب من المدرسة في سنواته الأولى، اشغل في أيامه الأولى نادلاً، ثم مساعد بناء، ثم بائع حمرة في حانة، ثم

¹ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص18.

² - المصدر نفسه، ص59.

³ - محمد عزّام، المرجع السابق، ص20.

بطالاً... دخل السجن مرتين، مرة بتهمة الضرب العمدي المبرح باستعمال السلاح الأبيض، ومرة بتهمة السكر العلن وانتهاك الآداب العامة¹.

إن إسم هذه الشخصية (عمار كرموسة) يحمل بعضاً من المفارقات فإسم عمار يدل على الإعمار والإصلاح وخلافة الأرض، أما دوره الحقيقي الذي مثله في هذه الرواية فهو نشر الرذيلة والفساد في المجتمع، بواسطة السموم التي يتاجرها.

وانتهى الأمر بهذه الشخصية إلى الإنزواء إلى الجانب الديني مع إنتشار الفكر الإسلامي، فقد تغير عمار كرموسة تغير جذري " في شكله وفي سلوكاته . . . أسدل لحيته، وقصر قميصه الأبيض وضمخ كل جسده بالمسك المكي، وراح يتنقل بين بيوت الناس يرقى مرضاهم من السحر والعين وكل داء "². فقد رسم الروائي هذه الشخصية " من خلال حركتها وفعلها وصراعها مع ذاتها أو مع غيرها راصداً نموها من خلال الوقائع والأحداث، حيث يعطي الإهتمام الأكبر للعالم الخارجي "³.

إنّ هذه الشخصية لعبت دورين بعد أن كانت شخصية مدنسة تحولت بفضل الوعي الديني إلى شخصية مقدسة.

8-2- صالح الميقرى:

شخصية ثانوية، قضى سنوات شبابه في المهجر بفرنسا " تتناقل بعض الألسنة أن صالح الميقرى قد كان عميلاً أثناء الثورة، وأن سبب هجرته التي كانت بعد خروج الإستعمار كانت خوفاً من الإنتقام ليعود بعدها بسنوات فيتزوج، لكنه ظل يعمل بفرنسا وكون ثورة طائلة "⁴ كان من أصدقاء سالم بوطويل الذي لم يبق له سواه، وبعد أن تقدم به العمر وأصبح عاجزاً عاد إلى أرض الوطن " ليقضي ما تبقى من عمره في تربية الأجداد كما يقول دائماً

¹ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص30.

² - المصدر نفسه، ص133.

³ - محمّد عزام، المرجع السابق، ص19،20.

⁴ - عز الدين جلاوي، المصدر السابقة ص33.

ويردده ويدفن بين الذين مضو من أهله وأقاربه ¹. إن هذه الشخصية " عنصر تجميلي... ولا يمتلك أية دلالة خاصة " ².

9-2- سمير المريني:

لعبت هذه الشخصية دور أخ الضحية " عزوز المريني " حيث كان " واسطة العقد، كان أحب إخوته إلى أمه، طويل القامة، أسمر اللون، في ملامحه ملاحظة ووساطة، وفي عينيه دمع محبوب، وهو أقرب شكلاً إلى أخواله... تعرض . سمير وهو تلميذ في المدرسة إلى مرض أدخله المشفى أياماً طويلة ³. وفي أثناء التحقيق والبحث عن المجرم الحقيقي الذي قام بجريمة القتل، وجهت له أصابع الاتهام بأنه متهم بقتل أخوه حيث يقوم الضابط سعدون: " وصلتنا معلومات دقيقة تقول أنكم الذين قتلتم عزوز المريني.

وانفجر سمير يبكي كالطفل الصغير رافضاً هذا الاتهام في غير إبانة ⁴. وما كان الاتهام إلا سبب اختفاء الجثة والأدلة معاً وغياب شاهد العيان وهذه الشخصية كغيرها من الشخصيات الثانوية قامت بالمساعدة لكي يتم " تجسيد الحدث ليتحقق وجودها في البناء الروائي فتتفاعل معه، وبالتالي تتحرك وفق هذا الحدث ⁵

10-2- نصير الجان:

من أبرز الشخصيات والأسماء شهرة في مدينة عين الرماد كيف لا، وهو من أعوان عزيزة الجنرال ومختار الدابة " فلقد شهد لحساب عزيزة الجنرال، ضد فاتح اليحياوي حين ثار ضدها، واتهمها بنشر الفساد والمخدرات، والإستيلاء على ممتلكات الشعب بطريقة غير شرعية ⁶. وكغيره من الشخصيات الإنتهازية في هاته الرواية عمل في تهريب المخدرات

¹ - المصدر السابق ، ص32.

² - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص15.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص16.

⁴ - المصدر نفسه ، ص38.

⁵ - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص15.

⁶ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص51.

والممنوعات ولا يمت بأب صلة إلى العلم والأخلاق والثقافة فلقد " غادر الدراسة مبكراً واشتغل في تهريب الممنوعات باطناً، لكنه لا يشتغل في الظاهر إلا ببيع السجائر في طاولة يقيمها في الشارع الكبير ... بدأت حياته تتغير منذ أن دخل ملهى الحمراء ومنذ ربط علاقات مشبوهة مع مختار الدابة "¹ ولقد لقبه أقرانه بهذا اللقب (الجان) لكثرة مقالبه ومكائده التي ينصبها لهم.

إحتلت هذه الشخصية دورا ثانوي مثل " نماذج لفئات من المجتمع ممزوجة بين الواقع والخيال بين العبث والمنطق "². ساعدت في تفعيل حركة السرد داخل العمل الروائي.

11-2- سليمان:

هو مزارع يعمل لصالح سالم و عزيزة الجنرال فهو المشرف على جميع الفلاحين في الأرض، وهو النائب عن عزيزة الجنرال، رغم تاكره الذي يكنه لها فقد " ورث سليمان عن أبيه خدمة الأرض، وهو بدوره ورث ذلك عن آبائه وأجداده، كما ورث عنهم قوة البنية وطول القامة وحمرة لوجه وحب الأرض حتى ولو كان عطاؤها لغيرهم ... ويمتاز سليمان عنهم أنه على قدر من العلم، وعلى قدر من الفطنة أيضا جعلته يحال لكسب قوته "³، يسعى سليمان إلى تحقيق حلمه في إمتلاك قطعة أرض بعرق جبينه، وظفت هذه الشخصية من قبل الروائي " لتخدم بنية الرواية، ورسم ... أحوالها وحركتها وفعلها وأوصافها الجسدية "⁴. إلى جانب الشخصية الرئيسية.

12-2- وردة:

هي حفيدة عزيزة الجنرال وسالم بوطويل، أبوها فواز وأمها بدره غابت مدةً محددة مع أمها، وحين عودتها (وردة) إلى البيت نسي سالم بوطويل كل آلامه وأحزانه، " وأعطاه كل عمره حول غرفته روضة للطفولة بجانب سريره أقام سريرها ... وقريباً من خزانته استوت

¹ - المصدر السابق، ص51.

² - حسن بحراوي، المرجع السابق، ص216، 217.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص54.

⁴ - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص17.

خزائنها تنام في حضنه وتأكل معه، ولا يقوى على الابتعاد عن البيت إلا وهي برفقته¹. مثلت هذه الشخصية دور الطفلة التي جعلت من جدّها البائس إلى شخص " حيوي ومفعم بالحركة والإنسانية وهذا الجانب من الشخصية يبلور لنا شخصية التي تبحث عن الطمأنينة والسكينة"².

13-2- العطرة:

زوجة فواز بوطويل الثانية التي شغلت كل حياته وأصبحت محل إهتمامه " ليس عن بدرو وابنته فحسب بل حتى لعلوعة التي طالما أقسم بأغلظ الإيمان أنها مسك من الجنة ... وأنسته العطرة نفسه ... لا يكاد يغادر البيت إلا وهي معه "³ فشخصية العطرة كانت بمثابة المعالج النفسي الذي أخرج فواز من حالة الإكتئاب وأبعدته عن الخمرة والملاهي الليلية، فقد ساعدته على أن " يلهم جراحاته وآهاته التي تزداد يوماً بعد يوم "⁴. بسبب الجريمة التي قام بها.

14-2- الطبيب فيصل:

هو الطبيب الذي خان مهنته وشهده زوراً، وأخفى الحقيقة في قضية الحادثة التي وقعت مع فواز بعد أن قام بمعاینته، وقد تواطئ مع عزيزة الجنرال في طمس الحقائق، ولقد كان صديقاً مقرباً من العائلة " ولم يكن فيصل طبيباً للعائلة فقط ولا عضو في الجمعية فحسب ... بل هو صديق حميم لعزيزة ... وكثيراً ما يصل به الأمر أن يطلب منها الخلع من سالم ليتزوجها "⁵ فقد كان يمثل عشيق عزيزة الجنرال. إلا أنها " لجأت إليه لأنها عثرت فيه على الجوهر البريء من الإستغلال "⁶.

¹ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص114.

² - منال عواد مفلح عرقان، مرجع سابق، ص21.

³ - عز الدين جلاوي، مصدر سابق، ص115.

⁴ - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص42.

⁵ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص100.

⁶ - نبيل حداد، الرواية في الأردن فضاءات ومراكز، وزارة الثقافة عمان - الأردن، ط1، 2002، ص23.

15-2- مراد لعور:

هو شاب من أفراد الطبقة المحافظة في مدينة عين الرماد حيث نشأ في أسرة ملتزمة، هو شاب " في الثلاثين من العمر ... طويل، نحيف أحول العين اليمنى، نشأ في أسرة ميسورة الحال تميل إلى التدين ... معظم أفرادها يحفظون القرآن الكريم ... أبوه من مجاهدي ثورة التحرير، قضى سنوات نشيطا ضمن صفوف الجماعات الإسلامية، يحضر نشاطاتها¹، وقد درس في الجامعة التي تعرف فيها عن حبيبته التي لم تكن من نصيبه لأنه ظفر بها أستاذه، وطرد من الجامعة بسبب المناقشة التي وقعت له معه، وقد انقلب دور هذه الشخصية بعد أن كان شخصية محافظة وملتزمة أصبح شخصية منحرفة ومتمردة على كل قيم الأسرة والمجتمع، وكل هذا سببه الانحراف إلى طريق المخدرات، فبعد أن كان من طبقة مثقفة نزل إلى "طبقة إجتماعية مسحوقة"² يسودها الرذيلة والانحراف.

¹ - عز الدين جلاوي، المصدر السابق، ص30.

² - منال عواد مفلح العرقان، مرجع سابق، ص64.

خلاصة:

وفي الأخير وبعد دراستنا لتجليات البنية السردية في رواية " الرماد الذي غسل الماء "، يمكننا القول أنه لم يكن غرضنا الوقوف على كل عناصر البنية الزمنية التي على أساسها بنيت هذه الرواية، وإنما إقتصارنا فقط على تقنية المفارقات الزمنية، والتي منها الاسترجاع الذي جاء بكثرة قدم من خلاله الروائي سير حياة الشخصيات، إلى جانب الإستباق الذي جاء على شكل توقعات لمستقبل الشخصيات.

إلى جانب هذه المفارقات استخدم الكاتب تقنية زمن السرد التي من بينها الخلاصة التي تعمل على تسريع السرد إلى جانب الحذف بأنواعه الذي يقفز به على فترات زمنية يرى أنها غير مهمة حيث تظهر براعة عز الدين جلاوي في التلاعب بخط الزمن السردى مواكبا تطورات الرواية الحديثة المتمثل في تداخل الأزمنة (الماضي - الحاضر - المستقبل).

أمّا بالنسبة لعنصر الفضاء بإعتباره أحد مكونات الرواية قد عمدنا فيه الوقوف على كل من الفضاء المغلق والمفتوح بالإضافة إلى المكان المدنس والمقدس، فقد عمد الروائي إلى استثمار كل المعطيات الخاصة به بإعتباره عنصراً مهماً في عملية البناء الروائي، معتمداً في ذلك على الحالة الشعورية للشخصيات .

وبالنسبة لما تبقى من عناصر البنية السردية والمتمثل في تشكيل البنية الشخصية في هذه الرواية، نجد أن لها دور كبير في تحريك العمل السردى الموجه إليها، حيث قامت كل الشخصيات الرئيسية بأدوارها بإحترافية تامة ذلك بمساعدة الشخصيات الثانوية، والملاحظ في تشكيل هاته الشخصيات هو الصراع بين الطبقة المثقفة والغير مثقفة، إلى جانب هذا الصراع علاقة المثقف بالسلطة، والتفاوت النسبي في مستوى تفكيرها وطبيعتها سلوكها، فالطبقة المثقفة تعاني من ويلات المتسلطين وبهذا يمكننا القول أننا قد أحطنا بكل عناصر البنية السردية الأساسية التي إعتدها عز الدين جلاوي في بناء نصّه.

خاتمة

- تتربع الرواية على مكانة مرموقة، وتحصد قضايا متشعبة، وهي منذ بدايتها تحمل آلام الشعوب وصوت الأديب، وبعد دراستنا لرواية " الرماد الذي غسل الماء " لعز الدين جلاوجي، وصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:
- عمل عز الدين جلاوجي على الهروب من زمن الحاضر إلى الماضي، حيث غلبت الاسترجاعات على زمن هذه الرواية، فقد عمل الكاتب على العودة بالذاكرة إلى تلافيف الماضي.
 - ساعدت تقنية الاسترجاع في نص الرواية على استحضار ماضي بعض الشخصيات لإزالة اللبس والغموض عن حياة هذه وأخذ القارئ فكرة عن ماضي كل شخصية.
 - كانت بداية أحداث رواية " الرماد الذي غسل الماء " في الزمن الليلي، مما خلق فضاء غامض ساعد البطلة في إخفاء الجثة وطمس الحقيقة وإثراء النص بعنصر التشويق.
 - تجسد الاستباق في هذه الرواية في القفز من الحاضر إلى تنبؤات وتوقعات في مسار حياة الشخصيات وما ستؤول إليه أحداث الرواية في المستقبل .
 - كان لتقنية زمن السرد حضوراً في الرواية الجزائرية المعاصرة فالروائي يستخدم تقنية الحذف بأنواعه المعلن والإفتراضي، كذلك التلخيص (الخلاصة) حيث تجسدت في إختصار الحياة الخاصة للشخصيات أو الحدث في بضعة أسطر.
 - يعمل الروائي المعاصر المتمكن على التلاعب بمحاور الزمن بين حاضر وماضي ومستقبل مستعينا بتقنيات زمن السرد لنقل الأحداث ولكل ما يتعلق بالشخصيات لتفعيل عنصر التشويق والعمل على تسريع السرد.
 - لعب المكان والفضاء دوراً هاماً في إنتاج بنية النص الروائي، فقد كان لحضور المكان بأنواعه دوراً في تفعيل حركة السرد وربط الأحداث بالزمن والشخصيات.

- مزج عز الدين جلاوجي بين الأماكن المفتوحة والمنغلقة، حيث يشارك كافة الشخصيات في الحركة داخل الأماكن المفتوحة، أما المختلفة فهي تقف عند خصوصية بعض الأفراد فقط دون غيرهم.

- عمل الروائي على تدنيس كل الفضاءات المقدسة في النص وتقديس المدنس حيث استخدم تلاعبات إبداعية مكنته من نقل الواقع المعيش في مدينة عين الرماد بمنظور أدبي فني.

- تعاكست أدوار الشخصيات في هذه الرواية مع درجتهم في المجتمع حيث أن المثقف يعيش تحت رحمة أصحاب السلطة الذين لا علاقة لهم بمجال الثقافة والعلم كل ما يجدونه هو التلاعب بحياة الناس ونهب أملاك وثروات مدينة عين الرماد، كما نلاحظ أن هناك إنفصام بين الشخصية وإسمها.

- تنقسم الشخصيات في الرواية العربية إلى رئيسية وثانوية، حيث أن الشخصية الرئيسية هي العنصر الفعال والمحرك الأساسي لأحداث الرواية أما الثانوية تقوم بدور مساعد في تفعيل الحركة والحيوية داخل الرواية.

وفي الختام نرفع قلمنا عن هذا البحث ليبقى مفتوحاً أمام مزيداً من الإسهامات والدراسات الجديدة والموسعة والتي نتمنى أن تكون مكملة لما ورد من نقصان في هذا البحث وبداية جديدة لبحث جديد من خلال دراسة العديد من الروايات العربية والجزائرية، وهو ما يقضي إلى إثراء المجال الذي حاولنا من خلاله دراسة البنية السردية في رواية " الرماد الذي غسل الماء " وفي الأخير نسأل الله السداد والتوفيق .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع

المصادر

1. الرواية: "الرماد الذي غسل الماء"، "عز الدين جلاوي، ط2، دار الروائع للنشر والتوزيع الجزائر، (2010).
2. مجد الدين الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، (2007).
3. ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 (2003م- 1434هـ) مج14.

المراجع

4. جميل شاكر وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً) دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق- بغداد، (د ط) .
5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، (1990م).
6. حميد لحميداني، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي) (المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، (1991م).
7. حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي، حجازي نموذجاً) جدار للكتاب العالمي، عمان. الأردن، ط1، (2006) .
8. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التنبير) (المركز الثقافي العربي بيروت، ط3، (1997).
9. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) مكتبة الأسرة- (2004).
10. شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة دار القصة للنشر، د ط، (2009).

11. صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني . جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، عمان، ط1، (2006).
12. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد العربي، دار المشرق، القاهرة، ط (1419هـ - 1998م).
13. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، مصر - القاهرة ط3، (1426هـ - 2005).
14. عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية " دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة.
15. عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، (بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات)، اتحاد الكاتب العربي، دمشق، (2001).
16. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، علم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، (1423هـ - 1998م).
17. عبد الوهاب شكري، النص المسرحي، دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية المكتب الحديث، الاسكندرية، (1997).
18. م. فورستور، أركان الرواية، تر. موسى عاصي، ط1، جروس برس، طربلس، لبنان (1994م).
19. محبوبة محمدي، محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوازتية دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة السورية للكتب وزارة الثقافة دمشق، ط1، (2011).
20. محمد أيوب، الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة سندباد للنشر والتوزيع، ط1، (2001).
21. محمد بوعزة، تحليل النص السرد (تقنيات ومفاهيم) الدار العربية للعلوم، ط1 (1431هـ - 2010م).

22. محمد عزام، شعرية الخطاب السردى (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق د ط، (2005).
23. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والمشر والتوزيع 2004.
24. مراد عبد الرحمن مبروك، دراسات أدبية بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، (د ط)، (1998م).
25. نبيل حداد، الرواية في الأردن فضاءات ومرتكزات، وزارة الثقافة عمان - الأردن، ط1 (2002).
26. ياسين النصير، الرواية والمكان (2)، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، دط.
27. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 (2001).
28. سمير روجي الفيصل، الرواية العربية والبناء والرؤيا، (مقاربات نقدية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط) (2003).
29. مرشد أحمد، البنية والدلالة في الروايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (2005)، ط1.
30. يوسف وغليسي (النقد الجزائري المعاصر من الأنسوية إلى الألسونية) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر (دط)، (2002).

المراجع المترجمة

- زهية سعيدي، جماليات الزمن في الرواية الجزائرية العربية (ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي - أنموذجاً) اشراف خيرة بلجيلالي، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (2017-2018).
31. جوادي هنية، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج. اشراف صالح مفقودة، جامعة خيضر بسكرة (2012.2013).

32. جيرالد برنس، المصطلح السردى (معجم مصطلحات) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (دط)، (1987).

33. جيرالد برنس، علم السرد الشكل والوظيفة في السرد، تر. باسم صالح، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، (1433هـ - 2012م).

34. حنان أمزيان، سمية بركان، جماليات تشكيل المكان في رواية " الرماد الذي غسل الماء "، اشراف بلقاسم دكدوك، جامعة العربي بن مهيدي. أم البواقي، (2016-2017).

الرسائل الجامعية

35. رسول بلاوي، البنية الزمنية بين الاسترجاع والاستباق في رواية " العقرب " لحسين مرتضائيان أبكنار - إشراف: حسين طرفي عليوي - جامعة خليج فارس بوشهر.

36. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، (1404 هـ - 1984 م)، بيروت، لبنان.

37. فيروز جدي، وفاء حطابي، البنية السردية في رواية طوق الياسمين " رسائل في الشوق والصبابة والعشق المستحيل " للروائي واسيني الأعرج. اشراف رشيد وقاص، جامعة العربي التبسي، تبسة، (2016-2017).

38. فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، سعيد بنكراد، دار الحوار، ط1، 2013.

39. منال عواد، مفلح العرفان: رسالة ماجستير " البنية السردية في أعمال هاشم غريبة الروائية إشراف خليل الشيخ - جامعة آل البيت - (2010/2011).

40. مها حسن القصرأوي، الزمن في الرواية العربية، أطروحة دكتوراه، اشراف محمود السمره، الجامعة الأردنية، (2002م).

41. يان مانفريد، علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد) تر. أماني أبو رحمة، مكتبة بغداد، سوريا. دمشق، ط1، (1431هـ - 2011م).

42. ينظر: سعاد مشلق: جماليات المكان في رواية " رحمة " لنجاة مزهود. اشرف رضاء معرف، جامعة محمد خيضر بسكرة. (2015.2016م).

المجلات

43. عبد الحميد بورايو، المكان والزمان في الرواية الجزائرية، مجلة المجاهد، الجزائر، ع (1392، 1987).

المواقع الإلكترونية

44. الموقع الإلكتروني: 18:35. 2019-03-26. WW.diwwanalarab.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ-ج

المدخل

نبذة عن حياة الروائي وملاح عن الرواية

- 1- التعريف بالمؤلف (حياته وأهم أعماله) 5
- 2- التعريف بالرواية 7
- 3- ملخص الرواية 5

الفصل الأول

البنية السردية (المفاهيم والإجراءات)

- تمهيد 11
- أولاً: البنية 12
- ثانياً: السرد 14
- ثالثاً: الزمن 19
- رابعاً: الفضاء 25
- خامساً: الشخصية 29
- ملخص 34

الفصل الثاني

تجليات مكونات البنية السردية

- تمهيد 36
- أولاً: الزمن 37

46.....	ثانيا: الفضاء
54.....	ثالثا: الشخصية
69	ملخص
71.....	خاتمة
71.....	قائمة المصادر والمراجع
83.....	فهرس المحتويات

ترجمد اللہ